الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

للإمام أبي محمد
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري
٢١٣ - ٢٧٦ هـ

قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه
عمر بن محمود أبو عمر

دار الراية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإختلاف في اللفظ
والرد على الجهمية والمشبهة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

دار الراية
للنشر والتوزيع

الرياض - الربوة - طريق عمر بن عبد العزيز
هاتف : ٤٩١١٩٨٥ - مصور (فاكس) ٤٠٦٦٩٤٩
ص.ب : ٤٠١٢٤ - الرمز : ١١٤٩٩ - مبرقة (تلكس) A..O - SJ - 400981

قال ابن قتيبة:

وسيوافق قولي من الناس ثلاثة: رجلاً منقاداً سمع قوماً يقولون فقال كما قالوا فهو لا يرعوي ولا يرجع لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر، ورجلاً تطمح به عزة الرياسة وطاعة الإخوان وحب الشهرة فليس يردّ عزته ولا يثني عِنانه إلا الذي خلقه إن شاء، لأن في رجوعه إقراره بالغلط واعترافه بالجهل وتأبى عليه الأنفة وفي ذلك أيضاً تشتت جمع وانقطاع نظام واختلاف إخوان عقدتهم لهم النحلة، والنفوس لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجّاه، ورجلاً مسترشداً يريد الله بعمله لا تأخذه فيه لومة لائم ولا تدخله من مفارق وحشة ولا تلفته عن الحق أنَفَة فإلى هذا بالقول قصدنا وإيَّاه أردنا.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[النساء: ١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن رأس الأمر كله هو التوحيد فهو حبل الله المتين وهو العروة الوثقى وهو مفتاح الجنان به يرفع الله أقواماً وبه يذل آخرين.

ولما كان الشيطان قد دفع بكل جيشه ورجله ليضل هذا الإنسان عن طريق الهدى والسداد فمرة جاءه عن طريق رأيه وهواه ومرة جاءه عن طريق عقله ومكنون نفسه، فإن الله عز وجل قد قيض لهذه الأمة في كل عصر من العصور رجالاً ربانيين بالله معتصمين ولله مخلصيـن وعن الله مجاهدين ينيرون للناس طريق الصواب ويفتنون المستعجمات من الأمور ليخرجوا خبيثها ويبقوا الطيب حيث أراد الله له أن يمكث في الأرض، فهم قدر الله الحق.

فلما جاءت وفود الشر من قبل المشرق والمغرب وفتن أهل الحق في دينهم فلم يجد الباطل منهم إلا رجالاً صدقوا على عهد العبودية مع الله، فرفع الله لهم رايات بها يستهدي طالب الهدى وجعل الله لهم لسان صدق في الآخرين. فيـا لعمر الله كم لأهل الحديث من منقبة تستعصي على المحصي عدّها، فهم والله أهل الله وخاصته، وهم إخوان رسول الله ﷺ والمنافحين عن سنته، الناشرين للناس ألويته، الذابين عنه كذب الكذابين، وسلسلة الخير لا تنقطع وطائفة الحق لا تموت طالما أن للشر دعاته وللبدعة حملة ولوسوسة الشيطان في النفوس مكاناً.

وكتابنا هذا هو حلقة من حلقات الخير وكتيبة من جيش غزو المعطلة والجهمية والمشبهة وصاعقة من الصواعق المحرقة المرسلة على أهل البدع فهو كتاب خطيب أهل السنة والجماعة الإمام ابن قتيبة الكاتب جلّىٰ فيه مسائل زعم الباطل أن الحق معه وأن عقله هو الصواب وأن اللغة فيما زعم تنصره. فجلّى ابن قتيبة مسائله ونصر مذهب أهل السنة والجماعة من جهة اللغة كيف لا وهو فارسها والخائض غمارها والكاشف عوار المفتون المعرض عن الهدى والصواب.

وقد حاول بعضهم أن يشوه صورة الكتاب ويطمس معالمه التي أراد ابن قتيبة لها أن تبين فعلق عليه تعليقات وافقت الجهمية في بدعهم ونصر مبادأهم البائدة فأردت أن أخرج الكتاب من جعبته إلى نصابه ليكون في

المكان الذي أراد ابن قتيبة له أن يكون فخرجت أحاديثه وعلقت على بعض المواطن في الكتاب تجلية للقارىء فيما ظننت أنه الصواب ناقلاً نقولات من أئمة الهدى ليعلم أن أهل السنة والجماعة يستقون من مشكاة واحدة حتى أنك سترى وحدة الألفاظ في أقوالهم وما نصره هٰذا الخطيب الإمام ابن قتيبة في كتابه. وقد قمت بوضع عناوين فرعية مساعدة في أصل الكتاب.

وقد حاولت جهدي وهو جهد المقل الضعيف وبالله استعنت وهو المجيب لمن دعاه.

٥/ ذي الحجة ١٤٠٧
عمان ـ الأردن

عمر بن محمود
أبو قتاده

(ترجمة المؤلف)

التعريف بابن قتيبة:

هو العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي الكاتب ـ صاحب التصانيف.

ولد في سنة ٢١٣، في أواخر خلافة المأمون. في الكوفة. ونزل بغداد وسمع من أعلامها وأخذ من أعيانها ولقب بخطيب أهل السنة.

كان رحمه الله كريماً بعلمه. سمحاً في إقراء كتبه لم يؤثر عنه أنه حبسها عن طلابها وتولى منصب القضاء بالدّينور ولذلك قيل له: الدينوري.

حدّث عن: إسحق بن راهوية ومحمد بن زياد بن عبيـدالله الزيادي وزياد بن يحيـى الحساني وأبي حاتم السجستاني وطائفة.

وحدث عنه: ابن القاضي أحمد بن عبدالله بديار مصر وعبيـدالله السكري وعبيدالله بن أحمد بن بكر وعبدالله بن جعفر بن درستويه النحويه وغيرهم.

وغلب عليه الاهتمام باللغة وفنونها ولم يكن بصاحب حديث. قال قاسم بن أصبغ كنا عند ابن قتيبة، فأتوه بأيديهم المحابر فقال اللهم سلمنا منهم. فقعدوا، ثم قالوا حدثنا ـ رحمك الله ـ قال: ليس أنا ممن يحدث، إنما هذه الأوضاع، فمن أحب؟ قالوا له ما يحل لك هذا فحدثنا بما عندك

عن إسحٰق بن راهويه فإنا لا نجد فيه إلا طبقتك، وأنت عندنا أوثق. قال: لست أحدث. ثم قال لهم: تسألوني أن أحدث. وببغداد ثمان مئة محدث كلهم مثل مشايخي! لست أفعل. فلم يحدثهم بشيء.

توفي رحمه الله سنة ست وسبعين ومئتين.

أنظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٦ - ٣٠٢.

ابن قتيبة وأقوال العلماء:

١ - قال الخطيب البغدادي: هو صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة وكان ثقة، ديناً، فاضلاً. تاريخ بغداد ١٠/١٧٠.

٢ - قال ابن الجوزي: وكان عالماً ثقةً، ديناً، فاضلاً. وله التصانيف المشهورة. المنتظم ٥/١٠٢.

وقال ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه. المحلى ٧/٣٦١.

٣ - قال الذهبي: أبو محمد: صاحب التصانيف صدوق، قليل الرواية. ميزان الاعتدال ٢/٧٧.

وقال: ابن قتيبة: من أوعية العلم لكنه قليل العمل في الحديث. تذكرة الحفاظ ٢/١٨٧.

وقال: الرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة وعلوم مهمة. السير ١٣/٣٠٠.

٤ - قال ابن كثير: ابن قتيبة النحوي اللغوي: صاحب المصنفات الكثيرة البديعة المفيدة، المحتوية على علوم جمة نافعة، أحد العلماء الأدباء والحفاظ الأذكياء، كان ثقة نبيلاً. البداية والنهاية ١١/٤٨ - ٥٧.

٥ - وقال ابن تيمية: وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحٰق بن راهويه والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة قال فيه صاحب «التحديث بمناقب أهل الحديث» وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء الفضلاء أجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحٰق وكان معاصراً لإبراهيم

الحربي، ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصانيفه لا خير فيه. ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة.

ابن قتيبة والتجسيم:

نقل صاحب مرآة الزمان بلا إسناد عن الدارقطني، أنه قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه. السير **١٣/٢٩٨**.

قلت: هذه تهمة من العجيب أن توجه إلى ابن قتيبة وهو الذي قرر في كثير من كتبه عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

قال ابن قتيبة في كتابه هذا: وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي وأنه يعجب وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى....

قال الذهبي: ما رأيت لأبي محمد في كتاب، مشكل الحديث، ما يخالف طريقة المثبتة والحنابلة، ومن أَنَّ أخبار الصفات تمر ولا تتأول. السير **١٣/٢٩٩**.

ويقول ابن قتيبة: فنحن نؤمن بالنفخ والروح ولا نقول كيف ذلك لأن الواجب علينا أن ننهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله ﷺ.

وكتابه هٰذا الذي بين أيدينا كل لفظة فيه تنفي عنه هٰذه التهمة.

من هو صاحب مرآة الزمان:

هو الشيخ أبو المظفر، المعروف بسبط ابن الجوزي.

قال الذهبي: يوسف بن قرغلي الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي روى عن جده وطائفة. وألف مرآة الزمان فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض وله في ذلك مؤلف نسأل الله العافية.. قال الشيخ محيي الدين السوسي: لما بلغ جدي موت سبط ابن الجوزي قال: لا رحمه الله، كان رافضياً. الميزان ٤/٤٧١.

مما تقدم يعلم أن سبط ابن الجوزي جازف بباطل بنقل هذه الرواية وهو المتهم بوضعها على ابن قتيبة.

بل إن سبط ابن الجوزي متهم بشتم أهل السنة تقرباً إلى أهل البدع وكتابه مليء بذلك. انظر التنكيل ١/١٣٥ - ١٣٦.

ابن قتيبة وكتاب الإمامة والسياسة:

هٰذا الكتاب بكل ما فيه من دجل وكذب نجزم أنه موضوع على ابن قتيبة ولا يحل نسبته إليه.

فقد ذكر مؤلف الإمامة والسياسة: أنه استمد معارفه من أناس حضروا فتح الأندلس في سنة ٩٢ هـ وإن موسى بن نصير غزا مدينة مراكش في زمن الرشيد مع أن ابن قتيبة ولد في سنة ٢١٣ ومات في سنة ٢٧٦، ولم تبن مراكش إلا في سنة ٤٥٤ هـ. في عهد يوسف بن تاشفين، سلطان المرابطين.

وهٰذا يكفي لإثبات كذب نسبة هٰذا الكتاب الممجوج إلى الإمام ابن قتيبة. أنظر كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي لعسيلان.

ابن قتيبة والحاكم:

قال مسعود السجزي: سمعت أبا عبدالله الحاكم يقول أجمعت الأمة على أن القتبي كذاب. سير ١٣/٢٩٩.

قال الإمام الذهبي: هٰذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله. الميزان ٢/٧٢.

وقال: هٰذه مجازفة وقلة ورع. فما علمت أحداً اتهمه بالكذب قبل هٰذه القولة بل قال الخطيب إنه ثقة. سير ١٣/ ٢٩٩.

وقال: وقد أنبأني أحمد بن سلامة عن حماد الحراني أنه سمع السِّلَفي ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قتيبة ويقول: ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة ثم قال لكن الحاكم قصده لأجل المذهب.

قلت (الذهبي): عهدي بالحاكم يميل إلى الكرامية. سير ١٣/ ٢٩٩.

من تآليف ابن قتيبة:

علمنا أن ابن قتيبة مكثر من التآليف حيث ذكر صاحب التحديث بمناقب أهل الحديث أنه ألف زهاء ثلاثمائة مصنف فمن أشهر تآليفه:

١ ـ غريب القرآن.
٢ ـ غريب الحديث.
٣ ـ المعارف.
٤ ـ تأويل مشكل القرآن.
٥ ـ تأويل مشكل الحديث.
٦ ـ أدب الكاتب.
٧ ـ عيون الأخبار.
٨ ـ طبقات الشعراء.
٩ ـ كتاب الأشربة.
١٠ ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة.
وغيرها...

وكتابنا هٰذا صحيح النسبة إلى ابن قتيبة فقد استمد منه بألفاظه ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة عند كلامه على خلاف العلماء في مسألة قولهم، لفظي بالقرآن مخلوق، وممن ذكره من مؤلفات ابن قتيبة ابن النديم والداودي والسيوطي والقفطي.

وقد اعتمدت فيه على نسخة مطبوعة سنة (١٣٥٩ هـ) من دار السعادة بمصر بتحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

(مقدِّمة المؤلف)

الحمد لله مرتضي الحمد لنفسه، وجاعله فاتحة وحيه(١)، ومنتهى شكره، وكفاء نعمته، ودعوى أهل جنته عند إفضائهم إلى كرامته(٢)، البَرُّ بخلقه، العواد على المذنبين بعفوه، الذي لا يخيب راجيه، ولا يرد داعيه، ولا ينسى ذاكريه، ولا يقطع حبل عصمته ممن تمسك بعروته، أحمده بجميع محامده على جميع نعمه، وندعوه أن يشعرنا خشيته، ويشرب قلوبنا مراقبته عند كل لفظ وعقد وكل قبض وبسط، وأن يجعل كلامنا له ودلالتنا عليه وإرشادنا إليه، ويؤم بنا سمت الحق وقصد السبيل، وأن يبلغ نبينا المصطفى ﷺ منا أفضل صلاة وأنماها وأزكاها وأقضاها لما فرض من حقه وأوجب من ذكره، صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آله الطيبين وعلى جميع النبيين والمرسلين، ونعوذ بالله من نزغ الشيطان ومصائده ولطيف خدعه ومكائده، فقد صدق على هذه الأمّة ظنه، وأجلب عليهم بخيله ورجله، وقعد لهم رصداً بكل مرصد، ونصب لهم شركاً بكل ريع، وطفق لغوايتهم بكل شبهة، فأصبح الناس إلا قليلاً ممَّن عصم الله مفتونين، وفيما يوبقهم خائفين، وعن سبيل نجاتهم ناكبين، ولما وضعه الله عنهم متكلفين، وعما كلفهم

---

(١) بدأ الله عز وجل قوله في سورة الفاتحة بقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾.

(٢) قال تعالى: ﴿ جنّت عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير، وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾. [فاطر: الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥].

معرضين، إن دعوا أنفوا، وإن وُعِظوا هزأوا، وإن سُئِلوا تعسفوا، وإن سَأَلوا أَعنتوا، قد فرقوا الدين وصاروا شيعاً فهم يتنابزون بالألقاب ويتسابون بالكفر ويتعاضدون بالنحل ويتناصرون على الهوى وعاد الإسلام غريباً كما بدأ(١)، فماذا يعجب من سلة السيف وشمول الخوف ونقص الأموال والأنفس وهل يتوقع بعد تزيدنا في الغواية إلا التزيد في البلاء حتى يحكم الله بما شاء بيننا وهو خير الحاكمين وكان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم ويعلم ليعمل ويتفقه في دين الله لينتفع وينفع فقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع ويجمع ليذكر ويحفظ ليغالب ويفخر وكان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع والمستعمل من الواضح وفيما ينوب الناس فينفع الله به القائل والسامع، فقد صار أكثر التناظر فيما دق وخفي وفيما لا يقع وفيما قد

---

(١) قطعة من حديث «إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء».

هذا حديث رواه جمع من الصحابة منهم:

١ ـ أبو هريرة رضي الله عنه: أخرجه مسلم ١ / ١٣٠ وابن ماجه ٢ / ٣٩٨٦ وأحمد ٢ / ٣٨٩.

٢ ـ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أخرجه الترمذي ٤ / ١٢٩ وابن ماجه ٢ / ٣٩٨٨ والدارمي ٢ / ٣١١ ـ ٣١٢ وأحمد ١ / ٣٩٨.

٣ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: أخرجه مسلم ١ / ١٣١.

٤ ـ عوف بن مالك رضي الله عنه: أخرجه الترمذي ٤ / ١٢٩ ـ ١٣٠ وأبو نعيم في الحلية ٢ / ١٠.

٥ ـ أنس بن مالك رضي الله عنه: أخرجه ابن ماجه ٢ / ٣٩٨٧.

٦ ـ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أخرجه أحمد ١ / ١٨٤.

٧ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أخرجه أحمد ٢ / ١٧٧، ٢٢٢.

٨ ـ عبد الرحمن بن سنة رضي الله عنه: أخرجه أحمد ٤ / ٧٣.

٩ ـ سهل بن سعد الساعدي: أخرجه الطبراني في الكبير ٦ / ١٦٤ والصغير ١ / ١٠٤ والقضاعي في مسند الشهاب ح / ١٠٥٥.

وقد بسطت القول في تخريجه مع تعريف الغرباء بسطاً شافياً إن شاء الله في مقدمة رسالة الغربة لابن القيم رحمه الله فانظره.

انقرض من حكم الكتابة وحكم اللعان ورجم المحصن، وصار الغرض فيه إخراج لطيفه، وغوصاً على غريبه، ورداً على متقدم، فهٰذا يرد على أبي حنيفة وهٰذا يرد على مالك، وآخر يرد على الشافعي بزخرف من القول، ولطيف من الحيل، كأنّه لا يعلم أنَّه إذا رد على الأول صواباً عند الله بتمويهه فقد تقلد المآثم عن العاملين به دهر الداهرين[1].

وهذا يطعن بالرأي على ماض من السلف وهو يرى، وبالابتداع في دين الله على آخر وهو يبتدع[2].

وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر وفي تفضيل أحدهما على الآخر وفي الوساوس والخطرات[3] ومجاهدة النفس وقمع الهوى فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر[4] فهم دائبون يخبطون في العشوات قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى.

---

(١) قيد ابن قتيبة حصول الإثم للمجتهد باجتهاده في مسألة ما إذا رد الصواب من القول بتمويهه لا ببذل الوسع للوصول إلى الحق. وإلا فما زال الآخر يرد على الأول اجتهاداً وإعمالاً للنصوص النبوية التي وصلت إليه.

(٢) قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف الآيات: ٣، ٤].

(٣) الكلام في الوساوس والخطرات لا يعلم عن السلف وقد نقم السلف على الحارث المحاسبي لأنه ألف في الوساوس والخطرات. قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه. فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك قيل له: في هذه الكتب عبرة. فقال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة. بلغكم أنَّ سفيان ومالكاً والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس ما أسرع الناس إلى البدع ـ ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠.

(٤) هذه كلمات كلامية لا تسمن ولا تغني من جوع. (أنظر خلافات أهل الكلام في معاني هذه الألفاظ في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ٣٠١ ـ ٤٠٠) إن أردت مختاراً.

[سبب تأليف الرِّسالة]

وكان آخر ما وقع من الاختلاف أمراً خص بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين، وبالاتباع قاهرين يداجون بكل بلد ولا يداجون ويستتر منهم بالنحل ولا يستترون، ويصدعون بحقهم الناس ولا يستغشون، ولا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا، ولا يتضع فيه إلا من وضعوا، ولا تسير الركبان إلا بذكر من ذكروا، إلى أَنْ كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها الله تعالى أصلاً في الدين، ولا فرعاً، في جهلها سعة وفي العلم بها فضيلة فنمى شرها، وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم وشتتت كلمتهم ووهنت أمرهم وأشمتت حاسديهم وكفت عدوهم مؤنتهم بألسنتهم وعلى أيديهم فهو دائب يضحك منهم ويستهزىء بهم حين رأىٰ بعضهم يكفر بعضاً وبعضهم يلعن بعضاً ورآهم مختلفين وهم كالمتفقين ومتباينين وهم كالمجتمعين ورأى نفسه قد صار لهم سلماً بعد أن كان لهم حرباً.

ولما رأيت إعراض أهل النظر عن الكلام في هذا الشأن منذ وقع، وتركهم تلقيه بالدواء حين بدا، وبكشف القناع عنه حين نجم، إلى أن استحكم أساسه، وبسق رأسه، وجرى على اعتياد الخطأ فيه الكهل، ونشأ عليه الطفل وعسر على المداوين أن يخرجوا من القلوب ما قد استحكم بالألف ونبت على شراه اللحم، لم أر لنفسي عذراً في ترك ما أوجبه الله عليَّ بما وهب من فضل المعرفة[1] في أمر استفحل بأن قصر مقصر فتكلفت بمبلغ علمي ومقدار طاقتي ما رجوت أن يقضي بعض الحق عني لعل الله ينفع به فإنَّه بما شاء نفع، وليس على من أراد الله بقوله أن يسأله الناس بل عليه التبصير وعلى الله التيسير.

وسيوافق قولي هٰذا من الناس ثلاثة:

---

(١) قال تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

رجلاً منقاداً سمع قوماً يقولون فقال كما قالوا فهو لا يرعوي ولا يرجع لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر[1].

ورجلاً تطمح به عزة الرياسة وطاعة الإخوان وحب الشهرة فليس يرد عزته ولا يثني عنانه إلا الذي خلقه إن شاء، لأن في رجوعه إقراره بالغلط واعترافه بالجهل وتأبى عليه الأنفة وفي ذلك أيضاً تشتت جمع وانقطاع نظام واختلاف إخوان عقدتهم له النحلة، والنفوس لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجاه.

ورجلاً مسترشداً يريد الله بعمله لا تأخذه فيه لومة لائم ولا تدخله من مفارق وحشة ولا تلفته عن الحق أنفة فإلي هٰذا بالقول قصدنا وإياه أردنا.

ولم أر صواباً أن يكون الكتاب محرراً بذكر هٰذا الباب خاصة دون غيره فقدمت القول فيه بذكر بعض ما تأولته الجهمية[2] في الكتاب والحديث وإن قلَّ لنحمد الله تعالى على النعمة ونعلم أن الحق مستغن عن الحيلة، ولم أُعدُ في أكثر الرد عليهم طريق اللغة.

(الرد على نفاة القدر)

فأما الكلام فليس من شأننا[3] ولا أكثر من هلك إلا به وبحمل الدين

(١) وهٰذا هو حال المقلد الذي يقلد دينه الرجال ويعرض عن الكتاب والسنة.

(٢) قال الإمام أحمد: الجهمية أعداء الله وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق وأنَّ الله عز وجل لم يكلم موسى وأنَّ الله ليس بمتكلم ولا يتكلم ولا ينطق وكلاماً كثيراً أكره حكايته وهم كفار زنادقه أعداء الله. رسالة السنة ص ٨١، ٨٢ ونسبتهم إلى سيدهم جهم بن صفوان شيخ نحلتهم وزعيم سرايتهم.

(٣) نعم الكلام هو شيمة أهل البدع قال الإمام الشافعي رحمه الله: لئن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام، رواه أبو نعيم في الحلية ٩ / ١١١ وقال: حكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام. أبو نعيم في الحلية ٩ / ١١٦ وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة، مناقب الإمام أحمد / ٢٠٤.

على ما يوجبه القياس[١].

ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا في قدر الله الذي هو سره بآرائهم وحملوه على مقاييسهم أرتهم أنفسهم قياساً على ما جعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق[٢] أن يجعلوا ذلك حكماً بين الله وبين العبد فقالوا بالتخلية والإهمال وجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء وقادرين على ما لا يريد كأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس على ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقالوا كيف يضل ويعذب ويريد ويكره ويحول ويكلف؟ وهل قصر فاعل هٰذا عن أفحش الظلم؟.

ونسوا ما يلزمهم في اختلاف الحكمين[٣] وأن من ملك البعض ليس

(١) ما هلك إبليس إلا عندما قاس قياسه وصادم به أمر الله عز وجل فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال أأسجد لمن خلقت طيناً ولذلك قيل: ما عبد النـاس الشمسَ والقمرَ إلا بـالمقاييس.

(٢) قصد ابن قتيبة المعتزلة الذين قالوا بوجوب الأصلح على الله وسموا ذلك عدلاً فجعلوه أصلاً من أصولهم الخمسة وخير ما ينقض هذا المعتقد هو مناظرة الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي علي الجبائي حين قال له: ـ ثلاثة مؤمن وكافر وصبي في الآخرة ما مآلهم فقال الجبائي المؤمن من أهل الدرجات والكافر من أهل الهلكات والصبي من أهل النجاة فقال الأشعري إن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات هل يمكن. فقال الجبائي: يقال له: إن المؤمن نال هذه الدرجة بالطاعة وليس لك مثلها. قال الأشعري فإن قال التقصير ليس مني فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن. قال الجبائي: يقول له: كنت أعلم لو بقيت لعصيت ولعـوقبت فراعيت مصلحتك أمتُّك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف. قال الأشعري: لو قال الكافر: يا رب علمت حاله كما علمت حالي فهلا راعيت مصلحتي مثله فانقطع الجبائي. طبقات الشافعية ٢/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٣) ولذلك قياس الغائب على الحاضر أو قياس المخلوق على الخالق هو من أفحش الظلم ومآل ذلك الكفر الصريح، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وانظر ماذا صنع هٰذا القياس بأقوام حين جعلوا الله عز وجل كملوك الظلمة فأحدثوا الوسائط بينهم وبينه فقالوا ـ ما نعبدهـم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ـ فاستغاثوا بهم من دون الله وسألوهم حوائجهم حتى صارت هذه الوسائط لهم أرباباً من دون الله عز وجل.

كمن ملك الكل، وأن الخلق كله لله يميت ويحيي ويفقر ويغني ويصح ويسقم ويبتدىء بالنعم من يشاء ويصطفي للرسالة من شاء ويؤيده بالتوفيق ويملأ قلبه بالنور ويعصمه من الذنوب ويجعل من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة وأنه لو لم يرد المعصية لما هيأهم هيئة المعصية ولما ركب فيهم آلة الشهوة[1] كما طبع الملائكة ولا سلط عليهم عدوهم ثم أمرهم بالاحتراس.

---

(١) الإرادة التي يتكلم عنها ابن قتيبة هي الإرادة الكونية الخلقية وليس الإرادة الشرعية فإن الله عز وجل يبغض المعاصي ويكره الظلم وحض عباده على الإعراض عن المنكر ودعا عباده إلى المعروف والطاعة ومن زعم أن الله عز وجل أراد من عباده المعصية ورضيها لهم وحسنها منهم فهو كافر بالله عز وجل مدَّع الكذب عليه وهؤلاء لا يفرقون بين الإرادة والمحبة وحقيقة هذا القول أن الله عز وجل لا يحب الطاعة من الكفار ويحب الكفر والفسوق والعصيان منهم والمؤمنون هم ضد هؤلاء فهم يقولون أن الله عز وجل خالق الخير والشر ولا يحب لعباده إلا ما أمرهم به من المعروف والخير وخلق آلة الشهوة في العباد إنما هو للامتحان والابتلاء، قال ابن تيمية رحمه الله (ومن هذا الباب تنازع الناس في الأمر والإرادة هل يأمر بما لا يريد أو لا يأمر إلا بما يريد فإن الإرادة لفظ فيه إجمال. يراد بالإرادة الإرادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن وكقوله تعالى: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾ وقول نوح عليه السلام: (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) ولا ريب أن الله يأمر العباد بما لا يريده بهذا التفسير والمعنى كما قال تعالى: ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ دل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع أنه قد أمر كل نفس بهداها. وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غداً إن شاء الله أو ليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر إن شاء الله أو ليصومن رمضان إن شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به. فإنه إذا لم يفعل المحلوف عليه لا يحنث مع أن الله أمره به لقوله: إن شاء الله فعلم أن الله لم يشأه مع أمره به وأما الإرادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضى وهي ملازمة للأمر كقوله تعالى: ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ﴾ ومنه قول المسلمين: هذا يفعل شيئاً لا يريده الله، إذا كان يفعل بعض الفواحش أي أنه لا يحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه. مجموع الفتاوى ٨/١٣١.

وأنى للضعيف الاحتراس ممن حرست منه السموات بالنجوم[1] ومنع من الاستماع بالرجوع وجعل له السبيل إلى القلوب من حيث لا يرى فهو يجري مجرى الدم ويوسوس ويخنس ولا يعصمه الله ولا خلق آدم للأرض وأسكنه الجنة وحرم عليه الشجرة وقد علم أنه سَيُغَر فيغتر وَيُسْتَزَلُّ فَيَزِل حتى يخرجه منها إلى حيث جعل له فيه مستقراً ومتاعاً إلى حين.

ولما اطرد لهم القول على ما أصلوا ورأوه حسن الظاهر قريباً من النفوس يروق السامعين ويستميل قلوب الغافلين نظروا في كتاب الله فوجدوه ينقض ما قاسوا ويبطل ما أسسوا فطلبوا له التأويلات المستكرهة والمخارج البعيدة وجعلوه عويصاً وألغازاً وإن كانوا لم يقدروا من تلك الحيل على ما يصح في النظر ولا في اللغة كقولهم في: ﴿ يضل من يشاء ﴾ [النحل: **٩٣**] ينسبهم إلى الضلال ﴿ ويهدي من يشاء ﴾ [النحل: **٩٣**] ينسبهم إلى الهداية وما في نسبتهم إلى ذلك؟ حتى يعيد ويبدي، ولو أراد النسبة لقال يضللهم،

---

(١) أي كيف للإنسان الضعيف أن يحترس ويتوقى من الشيطان الذي حرست منه السماء بالنجوم قال تعالى: ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين، وحفظناها من كل شيطان رجيم، إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ﴾ [الحجر: الآيات ١٦، ١٨]. قال الإمام البخاري: حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان قال علي وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى لضبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض، وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض، فتلقىٰ على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق. فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً؟ للكلمة التي سمعت من السماء (البخاري مع الفتح ٨/٣٨٠/ح٤٧٠١ و٨/٥٣٨/ح٤٨٠٠، والترمذي ٥/٤/ح٣٢٧٦، وابن ماجه ١/٦٩/ح١٩٤).

كما يقال يخونهم ويفسقهم ويظلمهم أي ينسبهم إلى ذلك.

وقالوا في قوله عز وجل: ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [يونس: ١٠٠] أي ما كان لها أن تؤمن إلا بعلم الله وعلموا ما يلزمهم أن جعلوا الإذن هنا: المشيئة والإطلاق، وذهبوا إلى قول القائل: (آذنتك بالأمر) أي أعلمتك.

وهٰذا من تأويلهم لا يصح في نظر ولا في لغة:

أما النظر: فإنه لم يقل أحد من الناس أن شيئاً يحدث في الأرض لا يعلمه الله فيقول وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله وإنما اختلفوا في الإذن الذي هو المشيئة والإطلاق فقال المثبتون لم يشأ الله أن يؤمن جميع الناس ولو شاء لآمنوا فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه.

وقال أهل القدر: قد شاء الله هٰذا لكل نفس وأطلقه فلها أن تؤمن إن شاءت وفي صدر هٰذا الكلام دليل على ما قال أهل الإثبات لأن النبي ﷺ كان يحب إيمان قريش فأنزل الله عليه: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [يونس: ٩٩] ثم قال على إثر ذلك: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ [يونس: ١٠٠] يريد بمشيئته وإطلاقه[١].

فأول الكلام دليل على آخره والناس مجمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال لو شئتُ لأتيتُكَ أنه لم يشأ إتيانه ولو شئتُ لحججتُ أنه لم يشأ

---

(١) هٰذا الكلام فيه إجمال وتفصيله تفصيل للفظ الجبر:
قال شيخ الإسلام: لفظ الجبر فيه إجمال يراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما يقال إن الأب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبراً بهذا التفسير فإنه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله، وليس ذلك جبراً بهذا الاعتبار ويراد بالجبر خلق ما في النفوس من الاعتقادات والإرادات كقول محمد بن كعب القرظي: الجبار الذي جبر العباد على ما أراد والجبر ثابت بهذا التفسير. مجموع الفتاوى بتصرف ١٣٢/٨.

الحج ولو شئتُ لتزوجتُ أنه لم يشأ الزواج فكذلك يلزم في: ﴿لو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾ [يونس: ٩٩] أنه لم يشأ ذلك ومثله: ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ [الرعد: ٣١] و: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ [السجدة: ١٣] فإن قال أراد لو شاء لآمنوا إجباراً ولكنه لم يشأ أن يجبرهم على ذلك قيل له لم يشأه على حال فاجعله بأي وجه شئت[1].

وقيل: والله يفعل بعباده ما هو أصلح لهم في كل حال عندهم فأي الأمرين كان أصلح لهم؟ أن يجبرهم على الإيمان فيؤمنوا أو يخليهم وشأنهم فيكفروا[2]؟ فهٰذا النظر.

وأما اللغة: فإنه لا يجوز فيها أن يجعل الأذن العلم لأنه الأذن، ألا ترى أن قائلاً لو قال لك قد آذنتك بخروج الأمير إيذاناً أي أعلمتك خروجه إعلاماً أن جوابك كان يكون له قد آذنت لقولك أذناً: أي سمعته فعلمته، والإيذان المأخوذ من الأذن إنما هو إيقاع الخبر في الأذن. والأذن استماعه وعلمه.

قال عدي بن زيد:

إيها القلب تعلل بددَن ... إن همي في سماع وأُذُن

ومنه أذان الصلاة إنما هو إسماع الناس ذكرها حتى يعلموا وقول الله عز وجل: ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ [التوبة: ٣] أي إسماع إعلام والأذن في الشيء أن تشاءه وتطلقه تقول: (أذنت له في الخروج إذناً) هذا ما ليس به خفاء على من نظر في اللغة وفهمها.

وقالوا في قوله عز وجل: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ [الأنعام: ١٢٥]

---

(١) هٰذا من باب إلزام الخصم وليس إقرار من ابن قتيبة بما قال المعاند أنظر التعليق السابق.

(٢) وهذه كسابقتها وهٰذا كله برهان على أن النظر الصحيح يوافق المنقول من الكتاب والسنة.

فجعلوا الإرادة في الهداية والإضلال للعبد لا لله[1] وركبوا في ذلك أفحش غلط وأحول كلام. والإرادة لا تجوز أن تكون للعبد وقد وليها اسم الله وهو مرفوع بإجماع القراء، ولو كان أحد منهم نصب الله لكان أقرب من المعنى الذي أراده وإن كان لا يجوز أيضاً لأنه يضم في الكلام (من) فيكون معناه من يريد من الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ثم يحذِف (من) وينصب الله لما نزع حرف الصلة كما يقال (من يسرق القوم مالهم يقطع) أي يسرق من القوم مالهم وهٰذا ليس يجوز إلا مع حروف معدودة محكية عن العرب، لا نحمل عليها غيرها ونقيسه عليها.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ﴾ [الأعراف: ١٧٩] دفعنا وألقينا واحتج من احتج منهم بقول المثقب العبدي حكاية عن ناقته:

تقول إذا ذرأتُ لها وضيني أهٰـذا دينـه أبـداً وديني

وهٰذا جهل باللغة وتصحيف وإنما هو (درأت) بالدال غير المعجمة والله يقول: ﴿ ولقد ذرأنا ﴾ بالذال وأحسبهم سمعوا بقول العرب (أذرته الدابة عن ظهرها) أي ألقته فتوهموا أنَّ ذرأنا من ذلك.

---

(١) ليس مقصود ابن قتيبة نفي الإرادة عن العبد إنما هو يناقش أقواماً في تعطيلهم صفات الله عز وجل وتأويلاتهم الباطلة في فهم الآيات لتوافق قواعدهم وعقائدهم في أن العبد يخلق فعله أما أن العبد مريد حقيقة وفاعل حقيقة فهو معتقد السلف الصالح وهو محاسب على أعماله لا أعمال غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اعلم أن العبد فاعل على الحقيقة وله مشيئة ثابتة وله إرادة جازمة وقوة صالحة وقد نطق القرآن بإثبات مشيئة العباد في غير ما آية كقوله: ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ ﴿ فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ ونطق بإثبات فعله في عامة آيات القرآن: ﴿ يعملون ﴾ ﴿ يفعلون ﴾ ﴿ يؤمنون ﴾ ﴿ يكفرون ﴾ ﴿ يتفكرون ﴾ ﴿ يحافظون ﴾ ﴿ يتقون ﴾ مجموع الفتاوى ٣٩٣/٨ وأنظر كتابي: الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد فصل الكسب عند الأشاعرة فإنه يغنيك إن شاء الله تعالى. وسيأتي كلام ابن قتيبة في بسط هذا.

ذرأنا في تقدير فعلنا غير مهموز ولو أريد ذلك المعنى لكان: (ولقد أذرينا لجهنم) وسمعوا بقوله: (ذرته الريح) وبقول الله: ﴿ فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ [الكهف: ٤٥] أي تنسفه وتلقيه فتوهموه منه ولو أريد ذلك لكان: (ولقد ذرونا لجهنم) وليس يجوز أن يكون (ذرأنا) في هٰذا الموضع إلا خلقنا: ﴿ ذرأكم في الأرض ﴾ [المؤمنون: ٧٩] وقال: ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ [الشورى: ١١] أي يخلقكم في الرحم ومنه قيل ذرية الرجل لولده وإنما هو خلق الله.

وقالوا في قوله: ﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. أراد إن هو إلا اختيارك تضل به من تشاء يعني الفاسقين وتهدي من تشاء يعني المؤمنين واحتجوا بقوله: ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة:٢٦] والفاسقون ههنا الكافرون لأنه قال في صدر الآية: ﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ [البقرة: ٢٦] وكيف يضل الضال ويهدي المهتدي فإن قالوا يريد الكافر ضلالة والمؤمن هداية أكذبهم في هذا الموضوع معنى الآية لأن فتنة القوم بالعجل أنه كان فضة وحليّاً فتحول جسداً له خوار فارتدوا عن الإسلام وعبدوه ولم يكن مع موسٰى بني إسرائيل كافر ولو كانوا كفاراً ما غضب ولا ألقى الألواح، فإنما وقع الضلال ههنا بمسلمين.

وأما قوله عز وجل: ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ فإنه نزل في قوم من اليهود وسمعوا قوله عز وجل: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ﴾ [العنكبوت: ٤١] وقوله: ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ﴾ [الحج: ٧٣] فقالوا ما هٰذه الأمثال التي لا تليق بالله فأنزل الله عز وجل: ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة: ٢٦] من الذباب والعنكبوت فقالوا ما أراد بمثل ينكره فيضل به كثيراً من الناس. فقال الله تعالى: ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا

فيقولون ماذا أراد الله بهٰذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة: ٢٦] يعني اليهود لأنهم ضلوا بالمثل وأنكروا ولم ينكره غيرهم[1].

وقد يأتي الحرف وظاهره العموم ومعناه الخصوص كقول موسى عليه السلام: ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقول النبي ﷺ: ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾[الأنعام: ١٦٣] لم يريدا كل المؤمنين وكل المسلمين في جميع الأزمنة بل مؤمني زمن موسى ومسلمي زمن نبينا عليهما السلام وكذلك قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ فضلكم على العالمين ﴾ [الأعراف: ١٤٠] لم يفضلهم على محمد ﷺ ولا أممهم على أمته وإنما أراد عالمي أزمنتهم وشيء لم نزل نسمعه منهم على قديم الأيام قد ارتضوه لأنفسهم ودونوه في كتبهم وأجمع عليه عالمهم وجاهلهم وكهلهم وحدثهم في تأويل قول الله عز وجل: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقوله: ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ [يٓس: ٨، ٩] وقوله: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ [البقرة: ٧] وأشباه هٰذا أنه حكم عليهم فإذا نحن تدبرنا هٰذا التأويل وقابلنا به التنزيل لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هٰذه التأويلات إلا لإقامة مذهبه وحاول بعضهم إبدال بعض حروفه بغيرها فقرأ: ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ﴾ [الأعراف: ١٥٦] بالسين

---

(١) الآيات مدنية فالخطاب لا يعدو اثنين إما اليهود أو المنافقين، قال السيوطي: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين قوله: ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ وقوله: ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله: ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ﴾ إلى قوله: ﴿ أولئك هم الفاسقون ﴾ الدر المنثور ١/١٠٣. ومال ابن كثير في تفسيره إلى هذا أنظر تفسيره ١/١١١.

غير المعجمة والنصب وقرأ جميع ما في القرآن من المخلصين بكسر اللام وإن كان قرأ بذلك بعض القراء يريد أن يجعل الاخلاص لهم ولا يكون لله في ذلك صنع فكيف يصنع بقوله: ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ [صٓ: ٤٦] وقرأ: ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ﴾ [آل عمران: ١٧٨] بكسر إنما الأولى وفتح الثانية يريد لا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثما إنما نملي لهم خير لأنفسهم فحرف المعنى عن جهته ونقله عن سننه وجعل الإملاء للكفار من الله إنما هو لخير يريده بهم[1].

وقد حمل بعضهم على أنه قرأ (ليزدادوا إيماناً) وألحقها في بعض المصاحف طمعاً في أن تبقى على الدهر ويجعلها الناس وجهاً وكيف له ما قدّر والله يقول إلى جنبها: ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

(الرد على أهل الجبر)

ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر وكثر بينهم التنازع حملهم البغض لهم واللجاج على أن قابلوا غلوهم بغلو وعارضوا إفراطهم بإفراط فقالوا بمذهب جهم[2] في الجبر المحض وجعلوا العبد المأمور المنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة ولا يفعل شيئاً على الصحة وذهبوا إلى أن كل فعل ينسب إليه فإنما ينسب إليه على المجاز كما يقال في الموات: مال الحائط وإنما يراد أُميل وذهب البرد وإنما ذُهِبَ به وكلا الفريقين غالط وعن سواء الحق حائد.

(١) هٰذا التأويل الفاسد دفعهم له قولهم بوجوب الأصلح على الله، تعالى الله عما يقولون لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون. قال ابن القيم لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وحمده وأن أفعاله صادرة عن تمام الحكمة والرحمة فكمال علمه وحكمته وربوبيته ينافي اعتراض المعترضين عليه وسؤال السائلين له (مختصر الصواعق ١/ ٣١٩).

(٢) جهم بن صفوان وكنيته أبو محرز كان مولى لبني راسب من الأزد أخذ الكلام عن الجعد بن درهم قتل سنة ١٢٨ هـ قتله سلم الأحوز بعد موقعته مع نصر بن سيار وهو زعيم الطائفة التي نسبت إليه وقد تقدم القول فيها.

ولو كان الأمر على ما قالوا لم يكن القدر سراً ولم يكن الناظر إليه كالناظر في شعاع الشمس(١) ففيم اختصمت الملائكة(٢).

---

(١) روى الطبراني (في المعجم الكبير ٣١٨/١٠) قال حدثنا أبو مسلم الكشي ثنا عبدالله بن رجاء ثنا يزيد بن أبي سلمة أبو يوسف قال سمعت وهب بن منبه يقول صحبت ابن عباس قبل أن يصاب بصره وبعدما أصيب فسئل عن القدر فقال وجدت أصوب الناس فيه حديثاً أجهلهم به وأضعفهم فيه حديثاً أعلمهم به ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد نظراً ازداد بصره فيه تحيراً. قال في المجمع ٢٠١/٧ فيه يزيد بن أبي سلمة ضعفه ابن معين.
أنظر المغني ٧٥٠/٢ والميزان ٤٢٧/٤.

(٢) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرص الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعاً فثوب بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته فلما سلم قال كما أنتم على مصافكم ثم أقبل إلينا فقال إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة أني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صوره فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري يا رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري رب فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت في الكفارات قال وما الكفارات قلت نقل الأقدام إلى الجمعات وجلوس في المساجد بعد الصلاة وإسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام، قال سل قلت الهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك وقال رسول الله ﷺ إنها حق فادرسوها وتعلموها. أخرجه أحمد ٢٤٣/٥، والترمذي ٤٦/٥، وقال حديث حسن صحيح سألت عنه محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح.
وروي عن ابن عباس: أخرجه أحمد ٣٦٨/١، والترمذي ٤٤/٥-٤٥، والبيهقي في الأسماء والصفات /٣٠٠.
وروي عن عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ: أخرجه أحمد ٦٦/٤، ٣٧٨/٥، والبيهقي في الأسماء والصفات /٢٩٩. =

وفيم ألح عزير حتى محي مـن ديوان النبوة(١).

= وروي عن عبد الرحمن بن عائش عن رسول الله ﷺ: أخرجه الترمذي ٥/٤٧-٤٨، وابن خزيمة في التوحيد /٢١٦، وابن منده في الرد على الجهمية /٩٠، والبيهقي في الأسماء والصفات /٢٩٨. وعبد الرحمن بن عائش مختلف في صحبته فقد نفاها ابن خزيمة في التوحيد /٢١٦، والترمذي ٥/٤٧-٤٨، وصحح صحبته البخاري وابن حبان وانظر تمام الكلام في الإصابة ٢/٢٠٦.

وروي عن ثوبان: أخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ٨٩.

وأبو هريرة: أخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ٨٩.

قال ابن منده: وروي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ ونقلها عنهم أئمة البلاد من أهل الشرق والغرب، الرد على الجهمية /٩١. قلت وليس في الحديث ما استدل به ابن قتيبة من أن القدر سر الله عز وجل وقد ورد الاختصام بين الملائكة بمعنى آخر في كتاب الله عز وجل قال تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون * إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين﴾ [ص: الآيات ٦٧، ٧٠] وتخاصم الملأ الأعلى في هذه الآيات إنما هو في شأن آدم عليه السلام وامتناع إبليس من السجود ومحاجته ربه في تفضيله عليه، ابن كثير ٦/٧٤.

(١) قال الطبراني في (المعجم الكبير ١٠/٣١٧ - ٣١٨) حدثنا أبو مسلم الكشي حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا مصعب بن سوار عن أبي يحيـى القتات، عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث الله موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة قال: اللهم إنك رب عظيم ولو شئت أن تطاع لأُطعت ولو شئت أن لا تُعصىٰ ما عصيت وأنت تحب أن تطاع وأنت في ذلك تعصىٰ فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه إني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون. فانتهى موسى. فلما بعث الله عزيراً وأنزل عليه التوراة بعدما كان رفعها عن بني إسرائيل حتى قال من قال إنه ابن الله. قال اللهم إنك رب عظيم ولو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت أن لا تعصىٰ ما عصيت وأنت تحب أن تطاع وأنت في ذلك تعصىٰ، فكيف يا رب؟ فأوحى الله إليه أني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون فأبت نفسه حتى سأل أيضاً فقال: أتستطيع أن تصر صرة من الشمس؟ قال: لا. قال: أتستطيع أن تجيء بمكيال من ريح؟ قال: لا. قال: أفتستطيع أن تجيء بمثقال من نور؟ قال: لا، قال: أفتستطيع أن تجيء بقيراط مـن نـور؟ قال: لا، قال فهكذا أن لا تقدر على الذي سألت إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون، أما إني لا أجعل عقوبتك إلا أن أمحو اسمك من الأنبياء فلا تذكر فيهم، فمحي اسمه من الأنبياء =

وفيم احتج آدم وموسى[1].

= فليس يذكر فيهم وهو نبي. فلما بعث الله عيسى ورأى منزلته من ربه وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ويبرىء الأكمه والأبرص ويحيـي الموتى. قال: اللهم إنك رب عظيم ولو شئت أن تطاع لأطعت ولو شئت أن لا تعصىٰ ما عصيت. وأنت تحب أن تطاع وأنت في ذلك تعصىٰ فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون وأنت عبد لي ورسولي وكلمتي ألقيتك إلى مريم وروح مني خلقتك من تراب ثم قلت لك كن فكنت لئن لم تنته لأفعلن بك كما فعلت لصاحبك بين يديك. إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون فجمع عيسى من معه وقال: القدر سنة الله فلا تكلفوه.. ا. هـ.

قلت: أبو يحيى القتات مختلف في اسمه: ضعيف، ضعفه النسائي (الميزان ٢/٣٠). وقال الذهبي: ضعيف الحديث (الميزان ٢/٣٧٩) وقال الحافظ: لين الحديث (التقريب ٢/٤٨٩)، وقال في الفتح صدوق فيه كلام (١١/١١٠)، ومرة ضعيف (١١/٢٣٤)، وقال الهيثمي ضعيف عند الجمهور وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في رواية (مجمع ٧/٢٠٣)، ومصعب بن سوار، قال الهيثمي: لم أعرفه (المجمع ٧/٢٠٣).

وقال أبو نعيم (الحلية ٦/٥٠) حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن عبيد بن حساب حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف قال: قال عزير فيما يناجي ربه عز وجل: تخلق خلقاً فتضل وتهدي من تشاء؟ قال: فقيل يا عزير فيما يناجي ربه عز وجل: تخلق خلقاً فتضل وتهدي من تشاء؟ قال: فقيل يا عزير أعرض عن هٰذا، لتعرضن عن هذا أو لأمحونك من النبوة، إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون.

قلت: الحديث عن نوف البكالي صحيح وليس فيه ذكر الطرد إنما هو الوعيد بالطرد إن لم يعرض عن مثل هذا السؤال. مع أن هذا الخبر لا يعتقد به فنوف البكالي تابعي ولا يؤخذ عنه مثل هذه الأخبار الغيبية ولعل نوف سمع هذا الخبر من كعب الأحبار من أخبار بني إسرائيل لأن نوف ربيب كعب وكعب زوج أمه.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال له موسى: أنت أبونا الذي أخرجتنا وأحرمتنا؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكتب لك التوراة بيده. فلم تلومني على أمر قدره الله تعالى علي قبل أن يخلقني بأربعين عاماً؟ فقال النبي ﷺ: «فحج آدم وموسى، فحج آدم وموسى» يعني أن آدم حج موسى. =

وإنما صار سراً لأنك ترى قادراً وهو عاجز، ومؤيداً وهو ممنوع، وترى حازماً محروماً، وعاجزاً مرزوقاً، وشجاعاً مخذولاً، وجباناً منصوراً، وعاقلاً لا يستشار في الأمور ولا يستعمل، وساقطاً متهافتاً لا يعطل، وعـالِمَيْن متقاربين في العلم والنظر في الدين خصمين وهما مختلفان[1] فهٰذا يقول بالإهمال المحض وذاك يقول بالإجبـار المحض وهٰذا حـروري[2] وذاك

= أخرجه أحمد ٢/٢٦٨، ٢٨٧، ٣١٤، ٣٤٨، ٣٦٤، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٤٨، ٤٦٤، والبخاري ٦/١٢١، ٨/١٥٧، ٩/١٨٢، ومسلم رقم ٢٦٥٢، وأبو داود رقم ٤٧٠١، وابن ماجه رقم ٨٠، وابن خزيمة، التوحيد /٩ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٨، وابن حبان ٨/٢٠ مكرر و ٣١، والبيهقي في الاعتقاد /٧١، والأسماء والصفات /٤٠٠، وابن منده في الرد على الجهمية /٦٩، والنسائي في الكبرى (في التفسير) كما في تحفة الأشراف ١٠/١٢٧.

وروي عن عمر بن الخطاب: أخرجه أبو داود رقم ٤٧٠٢، وابن منده في الرد على الجهمية /٦٨.

وروي عن أبي موسى الأشعري: أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥/١٩٠٤ ـ ١٠٥.

وروي عن جندب بن جنادة: أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٤/٣٤٩.

وروي عن غيرهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصواب في قصة آدم وموسى أن موسى لم يلم آدم إلا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل لا لأجل أن تارك الأمر مذنب عاصٍ، ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يقل: لماذا خالفت الأمر؟ ولماذا عصيت؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال تعالى: ﴿ وما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ . الاحتجاج بالقدر /١٨. وانظر بعض لطائف الحديث والرد على منكريه في الروض الباسم ٢/٨٠.

(١) وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد وأهل السنة يثبتون الحكمة والتعليل في أحكامه وأفعاله فما نراه نحن بنظرنا متعارض غير متقارب إنما هو كمال الحكمة فهو سبحانه وتعالى الحكيم العليم الخبير وسبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والمؤمن يسلم له ويرى في نفسه القصور وعدم الإدراك وهو سبحانه وتعالى بكل شيء خبير.

(٢) الحروريه: هم الخوارج نسبـة إلى حروراء قرية بالكوفة كانت بها وقعة على الخوارج =

رافضي[1] وترى أعداء الله يدالون أولياءه حتى يقتلوهم كل قتلة ويمزقوهم كل ممزق.

وترى الناس أصنافاً في التفضيل فمنهم قوم ابتدأهم الله بالنعم وأسكنهم ريف الأرض وأكرمهم وأخدمهم وحسن وجوههم وبيض ألوانهم وسقاهم العذب النقاح ورزقهم من الطيبات وأطعمهم من كل الثمرات ووفر عليهم العقول والأفهام وفتق ألسنتهم بالحكمة وألبابهم بالعلم وبعث فيهم بالقرب منهم الرسل لأهل هٰذا الإقليم الذي أسكنناه الله بفضله.

ومنهم قوم أنزلهم أطراف الأرض وجدوبة البلاد وأذلهم وأعراهم وشوه خلقهم وسود ألوانهم وسقاهم الملح الأجاج وجعل أقواتهم الحشرات والنبات وسلبهم العقول وباعدهم من مبعث الرسل ومنتهى الدعوة فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ثم جعلهم لجهنم حصيباً ولسعيرها وقوداً كالزنج وصنوف كثيرة من السودان وأصناف من الأعاجم ويأجوج ومأجوج فهل لهؤلاء أن يحتجوا على الله بما منح غيرهم ومنعهم؟

لا لعمر الله ما لأحد عليه حجة ولا قبله حق ولا فيما خلق شرك بل له الحجة البالغة، وهو الفعال لما يريد.

وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور: كيف خلق، وكيف قدر، وكيف أعطى، وكيف منع، وأنه لا يخرج من قدرته شيء ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون، وأن لله لطيفة يبتدىء بها من أراد ويتفضل بها على من أحب، ويوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته ويمنعها

= بقيادة نجدة بن عامر وقولهم أخبث الأقاويل وأبعده عن الإسلام والسنة وأصل مذهبهم تكفير الصحابة رضي الله عنهم وتكفير صاحب الكبيرة.

(١) الرافضة: هم الشيعة الغلاة الذين رفضوا إمامة زيد بن علي بسبب ترحمه على الشيخين فرفضوه وخرجوا عليه ولهم في العقائد مذهب شنيع وهم على الجملة من أكفر خلق الله. وهم يتبرؤون من أصحاب النبي ﷺ وينتقصونهم ويكفرون الأئمة.

من حقت عليه كلمته فهٰذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل وما سوى ذلك مخزون عنه.

[الرد على نفاةِ الصِّفات والقائلين بالمجاز والزاعمين أن صفات الله كلها معنى واحد]

وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق فأبطلوا الصفات مثل الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلـك.

فقالوا هو الحليم ولا نقول بحلم، وهو القادر ولا نقول بقدرة، وهو العالم ولا نقول بعلم، كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا (أسألك عفوك) وأن يقولوا (يعفو بحلم ويعاقب بقدرة) والقدير هو ذو القدرة والعافي هو ذو العفو، والجليل هو ذو الجلال والعليم هو ذو العلم[1] فإن زعموا أن هذا

(١) قال الإمام أبو الحسن الأشعري: إذا قلت إن علم الله هو الله فقل يا علم الله اغفر لي وارحمني فإن أبى ذلك لزمته المناقضة، واعلموا يرحمكم الله أن من قال: عالم ولا علم كان مناقضاً كما أن من قال علم ولا عالم كان مناقضاً وكذلك القول في القدرة والقادر، والحياة، والحي والسمع والبصر والسميع والبصير، الإبانة /٣٨.

وقال ابن القيم: والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به، ولو كان يشتق له اسمه باعتبار المخلوق المنفصل لسمي: طويلاً، وأبيضاً وغير ذلك لأنه خالق هذه الصفات فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك علم أنه يشتق من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ولا يتسمى باسمه، ولهذا كان قول من قال إنه يسمى مريداً وخالقاً ونحو ذلك بإرادة منفصلة عنه وبخلق منفصل عنه قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقـل واللغة مع تناقضه في نفسه، فإن اشتق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم طرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه، وإن خص ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض كان تحكماً لا معنى له.

وحقيقة قول هؤلاء إنه لم يقم به إرادة ولا إحسان ولا فعل البتة ومن تجهم منهم نفى حقائق الصفات وقال لم تقم به صفة ثبوتيه فنفوا صفـاته وردوهـا إلى السلوب والإضافة، ونفوا أفعاله وردوها إلى المصنوعات المخلوقات وحقيقة هٰذا أن اسماءه =

مجاز، قيل لهم ما تقولون في قول القائل: غفر الله لك وعفا عنك وحلم الله عنك أمجاز هو أم حقيقة؟ فإن قالوا مجاز فالله لا يغفر لأحد ولا يعفو عن أحد ولا يحلم عن أحد على الحقيقة. ولن يركبوا هٰذه. وإن قالوا هو حقيقة فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر لأنا نقول غفر الله مغفرة وعفا عفواً وحلم حلماً فمن المحال أن يكون واحد حقيقة والآخر مجازاً وقال الله: ﴿ إن كيدي متين ﴾ [الأعراف: ١٨٣] وأجمع الناس على أن الحول والقوة لله، والحول الحيلة.

وقالوا في (سميع بصير) هما سواء ليس في سميع من المعنى إلا ما في بصير ولا فيهما إلا معنى عليم وقد سمع الله قول اليهود: ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾[آل عمران: ١٨١] حين قالوه وعلمه قبل أن يقولوه فهل يجوز لأحد أن يقول إن الله سمعه قبل أن يقولوه وكذلك قول المجادلة في زوجها قد سمع الله جدالها وسمع محاورتها للنبي ﷺ حين جادلته وحاورته وعلمه قبل أن تجادل وتحاور به فهل لأحد أن يقول إن الله قد سمعه قبل أن يكون وإذا لم يجز ذلك فقد علم أن في سميع معنى غير معنى عليم والله يقول: ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [طٰه: ٤٦][1].

= تعالى ألفاظ فارغة عن المعاني لا حقائق لها وهذا من الإلحاد فيها وإنكار أن تكون حسنى وقد قال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها * وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يفعلون ﴾ وقد دل القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصفاً كقوله تعالى: ﴿ إن القوة لله جميعاً ﴾ وقوله: ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ وقوله: ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾. شفاء العليل ص ٥٦٦ - ٥٦٧، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن إثبات الأسماء دون الصفات سفسطة في العقليات وقرمطة في السمعيات (أنظر شرح الأصفهانية ص ٧٦ - ٧٩).

والسفسطة: أصل مذهبها الشك في الحقائق والإسراف في المغالطة.

والقرمطة: أصل مذهبها الزعم أن للنصوص معان غير التي يفهمها الذين وردت عليهم النصوص بلغتهم.

(١) قال الإمام عثمان بن سعيد (غير أنا لا نقول فيها كما قال إمامك المريسي: إن هذه الصفات كلها لله شيء واحد وليس السمع منه غير البصر، ولا الوجه منه غير البدن ولا =

[الرد على القائلين بخلق القرآن]

وقالوا في كلام الله أنه مخلوق لأن الله تعالى قال: ﴿ إنَّا جعلناه قراناً عربياً ﴾ [الزخرف: ٣] والجعل بمعنى الخلق ولأنه قال: ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ [الأنبياء: ٢] وكل محدث مخلوق وأن معنى: ﴿ كلم الله ﴾ أوجد كلاماً و: ﴿ كلم الله موسى تكليماً ﴾ [النساء: ١٦٤] أوجد كلاماً سمعه فخرجوا بهٰذا التأويل من اللغة والمعقول، لأن معنى تكلم الله أتى بالكلام من عنده، وترحم الله أتى بالرحمة من عنده، كما يقال تخشع فلان أتى بالخشوع من نفسه، وتشجع أتى بالشجاعة من نفسه، وتبتل أتى بالتبتل من نفسه، وتحلم أتى بالتحلم من نفسه، ولو كان المراد أوجد كلاماً لم يجز أن يقال: يتكلم، وكان الواجب أن يقال: أكلم، كما يقال أقبح الرجل أتى بالقباحة وأطاب أتى بالطيب وأخس أتى بالخساسة، وأن يقال أكلم الله موسى إكلاماً، كما يقال أقبر الله الميت: أي جعل له قبراً أو أرعى الله الماشية جعلها ترعى، في أشباهٍ لهٰذا كثيرة لا تخفى على أهل اللغة.

والعرب تسمي الكلام لساناً لأنه على اللسان يكون.

= اليد منه غير النفس، وأن الرحمة ليس يعرف بزعمكم لنفسه سمعاً من بصر، ولا بصراً من سمع، ولا وجهاً من يدين، ولا يدين من وجه، هو كله بزعمكم بصر وسمع ووجه، وأعلى وأسفل، ويد ونفس وعلم ومشيئة وإرادة، مثل خلق الأرضين والسماء والتلال والهواء التي لا يعرف شيء منها شيئاً. فالله المتعالي عندنا أن يكون كذلك. فقد ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال: ﴿إنني معكما أسمع وأرى ﴾ و: ﴿ إنا معكم مستمعون ﴾ وقال: ﴿ لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ﴾ ففرق بين الكلام والنظر دون السمع فقال عند السماع والصوت: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ (ولقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ولم يقل: قد رأى الله قول التي تجادلك في زوجها. وقال في موضع الرؤية: ﴿ إنه يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ وقال: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ ولم يقل يسمع تقلبك ويسمع الله عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السماع فيما يرى. لما أنهما عنده خلاف ما عندكم) رد الإمام الدارمي على المريسي ص ٢٢ ـ ٢٣.

قال الشاعر وهو أمية بن أبي الصلت:

واسمع كلامَ اللهِ كيف شكوله   فاعجب وَيُلْسِنُك الذي تستنشِدُ

أراد اسمع كلام الله ثم قال: (ويلسنك) أي يكلمك الذي تستنشده أي كأنه يكلمك.

وقال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤] وقال الشاعر:

إني أتتني لسان لا أسر بها   ....

أي أُخبرت.

وأما استشهادهم بالجعل على خلق القرآن في قول الله: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ [الزخرف: ٣] فإن الجعل يكون بمعنيين: أحدهما خلق، والآخر غير خلق فأما الموضع الذي يكون فيه خلقاً: فإذا رأيته متعدياً إلى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله: ﴿خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام: ١] فهٰذا بمعنى خلق، وكذلك: ﴿وجعل منها زوجها﴾ [النساء: ١] أي خلق منها.

وأما الموضع الذي يكون فيه غير الخلق فإذا رأيته متعدياً إلى مفعولين كقوله: ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ [النحل: ٩١] أي صيرتم. وكقوله: ﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها﴾ [البقرة: ٦٦] وكقول القائل (جعل فلانٌ أمر امرأته في يدها) فإن هم وجدوا في القرآن كله جعل متعديه إلَّا القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق فنحن نتابعهم، وكذلك المحدث ليس هو في موضع بمعنى مخلوق، فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قول الله: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ [الطلاق: ١] أنه يخلق وكذلك قوله: ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكر﴾ [طٰه: ١١٣] أي يحدث لهم القرآن ذكراً. والمعنى يجدد عندهم ما لم يكن.

وكذلك قوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [الأنبياء: ٢] أي ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك.

[الرد على متأوِّلي الصفات]

(الرد على القائلين أن اليد هي النعمة)

وفعلوا في كتاب الله أكثر مما فعل الأولون في تحريف التأويل عن جهته فقالوا في قول الله: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة: ٦٤] أن اليد ههنا النعمة وما ننكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل:

أحدها: النعمـة.

والآخر: القوة من الله: ﴿ أولي الأيد والأبصار ﴾[ص: ٤٥] يريد أولي القوة في دين الله والبصائر ومنه يقول الناس (ما لي بهذا الأمر يد) يعنون مالي به من طاقة.

الوجه الثالث: اليد بعينها.

ولكنه لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع النعمة لأنه قال: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة: ٦٤] والنعم لا تغل وقال: ﴿ غلت أيديهم ﴾ معارضة بمثل ما قالوا ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمهم ثم قال: ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ ولا يجوز أن يريد نعمتاه مبسوطتان[١].

وكان مما احتجوا به للنعمة قوله: ﴿ غلت أيديهم ﴾ لو أراد اليد بعينها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد، فما أعجب هذا الجهل والتعسف في القول بغير علم.

ألم يسمعوا بقول الله تعالى: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس: ١٧] وبقوله: ﴿ قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾ [التوبة: ٧] وقوله: ﴿ لعنوا بما قالوا ﴾ [المائدة: ٦٤] واللعن الطرد. فهل قتل الله الناس جميعاً وهل قتل قوماً وطرد آخرين ولم يسمعوا بقول العرب: قاتله الله ما أبطشه، وأخزاه الله ما أشعره، وبقول النبي ﷺ لرجل: «تربت يداه»[٢] أي افتقر ولم يفتقر.

---

(١) لأن الواقع خلاف ذلك فنعمهم غير مغلولة بل البسطة فيهم أكثر من غيرهم وكذلك فنعم الله ليست مبسوطة على الناس جميعاً فالبلاء والامتحان في بعض الناس ظاهر.

(٢) روى هٰذا اللفظ في مواطن كثيرة من حديث رسول الله ﷺ منها ما رواه الإمام أحمد قال: حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن أبي صخرة جامع بن شداد عن مغيره بن عبدالله عن =

ولامرأة «عقرى حلقى»[1] ولم يعقرها الله ولا أصاب حلقها بوجع.

فإن قال لنا: ما اليدان ههنا قلنا هما اليدان اللتان تعرف الناس كـذلك قال ابن عباس في هذه الآية: (اليدان اليدان) وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»[2] فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين ههنا نعمة أو نعمتين وقال: ﴿لما خلقت بيدي﴾[ص: ٧٥] فنحن نقول كما قال الله تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به

= المغيره بن شعبة قال: ضفت النبي ﷺ ذات ليلة فأمر بجنب فشـوي وأخذ الشفرة فجعل يحزُّ لي بها منه. قال فجاء بلال فآذنه بالصلاة. قال: فألقى الشفرة وقال: ما له تربت يداه؟ وقام يصلي (المسند ٤/٢٥٤ ـ ٢٥٥)، هٰذا حديث صحيح ورواه أبو داود قـال حدثنا عثمان بن أبي شيبة ومحمد بن سليمـان الأنباري به (رقم ١٨٨) الجنـب: القطعة العظيمة من الشيء. ورواه النسائي في الكبرى (كما في تحفة الأشراف ٨/٤٩٢).

(١) روي هٰذا اللفظ في قول النبي ﷺ لصفية رضي الله عنهما في حجة الوداع وقد حاضت بعد، وتمام الحديث:
عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع النبي ﷺ ولا نرى إلا أنه الحج فلما قدمنا تطوفنا فأمر النبي ﷺ من لم يكن ساق الهدي أن يحل، فحل من لم يكن ساق الهدي ونساؤه لم يسقن فأحللن. قالت عائشة رضي الله عنها: فحضت فلم أطف بالبيت، فلما كانت ليلة الحصبة، قالت يا رسول الله: يرجع الناس بعمرة وحجة وأرجع أنا بحجة. قال: وما طفت ليالي قدمنا مكة. قلت: لا. قال فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم فأهلي بعمرة ثم موعدك كذا وكذا. قالت صفية: ما أراني إلا جالستهم قال: عقرى حلقى، أو ما طفت يوم النحر قالت قلت بلى. قال لا بأس. انفري. قالت عائشة رضي الله عنها: فلقيني النبي ﷺ وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة عليها أو أنا مصعدة وهو منهبط منها.
رواه الـبـخـاري ٢/١٧٤، ٢٢١، ٢٢٣ و٧/٧٥. ومـسـلـم ٢/٨٧٧ ـ ٨٧٨. وأحمد ٦/٨٥، ١٢٢، ١٧٥، ٢٢٤، ٢٥٣، ٢٦٦. وابن ماجه: رقم ٣٠٧٣.

(٢) روي في عـدة أحاديث منهـا ما رواه عبـدالله بن عمرو بن العـاص قال: قـال رسول الله ﷺ: إن المقسطين عند الله على منابر من نور: عن يمين الله عز وجل. وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا.
رواه مسلم ٣/١٤٥٨ /١٨٢٧، وأحمد ٢/١٦٠ /٢٠٣، والنسائي ٨/٢٢١١، وابن منده في الرد على الجهمية /٧٣، والبيهقي في الأسماء والصفات /٤١٠.

نفسه ولكنا لا نقول كيف اليدان وإن سئلنا نقتصر على جملة ما قال ونمسك عما لم يقل.

وتأويل الآية: أن اليهود قالت: يد الله مغلولة أي ممسكة عن العطاء فضرب الغل في اليد مثلاً لأنه يقبض اليد عن أن تمتد وتنبسط كما تقبض يد البخيل، فقال الله تعالى: ﴿ غلت أيديهم ﴾ أي قبضت عن العطاء والإنفاق في الخير والبر ﴿ ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ﴾ بالعطاء ﴿ ينفق كيف يشاء ﴾ [المائدة: ٦٤] ومثله قوله: ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ﴾ [يٓس: ٨] أي قبضنا أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع الأغلال.

وما قول النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين» فإنه أراد معنى التمام والكمال لأن كل شيء مياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص ولذلك قيل اليمن والشؤم.

فاليمن في اليد اليمنى، والشؤم في اليد الشؤمى وهي اليسار.

وقالوا فلان ميمون من اليمين ومشؤوم من الشؤمى وقال رسول الله ﷺ في الإبل: «إن أدبرت أدبرت وإن أقبلت أدبرت ولا يأتي نفعها من جانبها الأشأم»(١) يعني الأيسر.

ويمكن أيضاً أن يريد العطاء باليدين جميعاً لأن اليمنى هي المعطية

(١) لم أجد هٰذا الحديث بلفظه في كتب السنة المسندة فالشطر الأول منه ذكره أبو عبيد في غريب الحديث ١٥٧/٣، بقوله: وهٰذا عندي كالمثل الذي يقال فيه: إنها إذا أقبلت أدبرت وإذا أدبرت أدبرت وأما الشطر الآخر فقد رواه أبو عبيد في جزء من حديث يروى عن أبي عوانه عن قتادة يرفعه إلى النبي ﷺ: أنه سئل عن الإبل فقال: أعناق الشياطين لا تقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم، (١٥٦/٣ غريب الحديث) والحديث كما ترى لا يصح لإرساله.
وكذا بهٰذا اللفظ ذكره ابن الأثير في النهاية ٤٣٧/٢، قال أبو عبيد: وقيل عنها هٰذا وذلك لكثرة آفاتها وسرعة فنائها.

فإذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما قال رسول الله ﷺ: «يمين الله سخاء لا يغيضها شيء الليل والنهار»(١) أي تصب العطاء ولا ينقصها ذلك وإلى هذا المعنى ذهب المرار حيث يقول:

وإن على الأوانة من عقيل فتى كلتا اليدين له يمين(٢)

(الرد على متأول الروح)

وقالوا في قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩] أن الروح هو الأمر أي أمرت أن يكون.

واحتجوا بقول سليمان وأبي الدرداء: إنا نقوم فنكبر بروح الله أي بكلامه. والروح كما ذكروا قد يكون كلام الله في بعض المواضع نحو قوله: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ [غافر: ١٥] وكقوله عز وجل: ﴿وكذلك أوحينا روحاً من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢].

والروح أيضاً: روح الأجسام الذي يقبضه الله عند الممات.

والروح أيضاً: مَلَكٌ عظيم من ملائكة الله قال الله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ [النبأ: ٣٨].

والروح: الرحمة قال الله تعالى: ﴿وأيدهم بروح منه﴾

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال لي: أنفق أُنفق عليك وقال رسول الله ﷺ: يمين الله ملأى، لا يفيضها سخاء، الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه. قال وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض.

رواه مسلم ٦٦٩/٢ ـ ٦٧٠ /٩٩٣ ـ ٩٩٤، وأحمد ٢٤٢/٢ /٣١٢ ـ ٣١٣ / ٥٠٠ ـ ٥٠١، والترمذي ٣١٧/٤ /ح ٥٠٣٦، وابن ماجه ٧١/١ /ح ١٩٧، وابن منده في الرد على الجهمية /٧٦، وابن خزيمة في التوحيد /٦٨ /٨٧، والبيهقي في الأسماء والصفات /٤١٥.

(٢) أنظر تفصيلاً زائداً شافياً لهذه المسألة في مجموع الفتاوى ٣٦٢/٦ ـ ٣٧٢، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

[المجادلة: ٢٢] أي برحمة كذلك قال المفسرون.

وقال الله تعالى: ﴿ فروح وريحان ﴾ [الواقعة: ٨٩] فمن قرأ بالضم أراد فرحمة ورزق وقال فبقاء ورزق.

والروح: النفخ سمي روحاً لأنه ريح يخرج عن الروح.

فأي شيء جعلت الروح من هذه التأويلات؟

فإذا نفخت: لا يحتمل إلا معنى واحداً قال ذو الرمة وذكر ناراً قدمها:

وقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واقتته لها قيتةً قدرا

يقـول أحيـي النار بنفخك.

فنحن نؤمن بالنفخ وبالروح ولا نقول كيف. ذلك لأن الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله ﷺ ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك[1].

(الرد على نفاة النظر لوجه الله يوم القيامة)

وقالوا في قوله: ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة: ٣٢ - ٣٣] أي منتظرة والعرب تقول نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد ومنـه قول الله: ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ [الحديد: ١٣] أي انتظرونا.

وقال الحطيئة:

وقـد نـظرتكم إينـاء صـادرة للخُمس طال بها حَوْزي وتنساسي

أي انتظرتكم.

وما ننكر أن نظرت قد يكون بمعنى انتظرت وأن الناظر قد يكون بمعنى

(١) قال الإمام الترمذي: وقد قال غير واحد من أهل العلم في الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف؟ هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه. سنن الترمذي ٣/٤١.

المنتظر. غير أنه يقال أنا لك ناظر أي: أنا لك منتظر. ولا يقال أنا إليك ناظر أي إليك منتظر إلا أن يريد نظر العين.

والله يقول: ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ولم يقل لربها ناظرة فيحتمل ما تأولوا.

فأما دفعهم نظر العين بقول الله تعالى: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وبقول موسى عليه السلام: ﴿ رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فإنه أراد: ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ في الدنيا وأراد: ﴿ لن تراني ﴾ في الدنيا لأنه تعالى احتجب عن جميع خلقه في الدنيا[١] وتجلى لهم يوم الحساب والقصاص فيرونه كما يرى القمر في ليلة البدر[٢]. لا يختلفون فيه كما لا يختلفون في القمر.

والعرب تضرب بالقمر المثل في الشهرة والظهور وقال ذو الرمة:

فقد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا

ويقولون هذا أبين من الشمس ومن فلق الصبح وأشهر من القمر وحديث رسول الله ﷺ: قاضٍ على الكتاب ومفسر له[٣]. والخبر في الرؤية ليس من الأخبار التي يدفعها إلا جاهل أو معاند ظالم لتتابع الروايات

(١) قال ابن شهاب الزهري أخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت. رواه مسلم ٤/٢٢٤٥/ح٢٩٣١، والترمذي ٣/٣٤٥ /ح٢٣٣٦.

(٢) عن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: أما إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته. فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، قال ثم قرأ: ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾. رواه البخاري ٢/٣٣، ومسلم ١/٤٣٩ /ح٦٣٣، وأحمد ٤/٣٦٠/ ٣٦٢/ ٣٦٥، وأبو داود ٥/٩٨ ح٤٧٢٩، والترمذي ٤/٦٨٧ ح٢٥٥١، وابن ماجه ١/٦٣ ح١٧٧.

(٣) قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب.

قال ابن عبد البر: يرريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل /٢٠١. =

به من الجهات الكثيرة عن الثقات. فلما قال الله عز وجل: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وجاء عن رسول الله ﷺ: «ترون الله يوم القيامة»[1] لم يخف على ذي نظر أنه في وقت دون وقت.

وفي قول موسى عليه السلام أيضاً: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣] أبين الدلالة بأنه يُرى في القيامة ولو كان الله لا يرى في حال من الأحوال ولا يجوز عليه النظر لكان موسى قد خفي عليه من صفة الله ما علموه.

ومن قال إن الله يدرك بالبصر يوم القيامة فقد حده عندهم ومن كان الله عنده محدوداً فقد شبهه بالمخلوقين، ومن شبهه عندهم بالخلق فقد كفر.

فما نقول في موسى فيما بين أن نبّأه الله عز وجل وكلمه من الشجرة إلى الوقت الذي قال فيه: ﴿أرني أنظر إليك﴾ أنَقْضي عليه بأنه كان مشبهاً لله محدداً؟ لا لعمر الله ما يجوز أن يجهل موسى من الله مثل هٰذا لو كان على تقديرهم، ولكن موسى علم أن الله يرى يوم القيامة فسأل الله أن يجعل له في الدنيا ما أجَّلَهُ لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة فقال: ﴿لن تراني﴾ يعني في الدنيا ﴿ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ [الأعراف: ١٤٣] أعلمه أن الجبل لا يقوم لتجليه حتى يصير دكاً وأن الجبال إذا ضعفت عن احتمال ذلك فابن آدم أحرى أن يكون أضعف، إلى أن يعطيه الله يوم القيامة ما يقوى به على النظر، ويكشف عن نظره الغطاء الذي كان في الدنيا فيصير بعد الكلال حديداً، والتجلي هو الظهور ومنه يقال جلوت المرآة والسيف إذا أظهرتهما من الصدأ وجلوت العروس إذا أبرزتها.

(الرد على نفاة صفة النفس)

وقالوا في قوله: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾

= قال الإمام الشافعي: لم تكن السنة لتخالف كتاب الله ولا تكون السنة إلا تبعاً لكتاب الله بمثل تنزيله أو مبينة معنى ما أراد الله فهي بكل حال متبعة كتاب الله. الرسالة /٢٢٣.

(١) قد تقدم.

[المائدة: ١١٦] أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك كما قال: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ [الأنعام: ٥٩] وكما يقول القائل (عندي علم ذاك).

وهٰذا كما ذهبوا إليه في احتمال التأويل على بعد والله أعلم بما أراده ولكن (عند) تدل على قرب وهم يزعمون أن الله تعالى لا يكون إلى شيء أقرب منه إلى شيء آخر، وأنه على العرش استوى في الحقيقة مثله في الأرض والعجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح في المعقول، ثم خرجوا من كل معقول بقولهم: (إن الله في كل مكان بغير مماسة ولا مباينة وبغير موافقة ولا مفارقة)[1] وقد قال أمية يذكر قرب موسى عليه السلام من الله حين كلمه:

وهو أقرب الأنام إلى الله ... كقرب المداد للمنوال

يقول وهو كقرب مداد الثوب من الخشبة التي ينسج الثوب عليها والله يقول: ﴿وقربناه نجيا﴾ [مريم: ٥٢]، النجي في معنى المناجي وهو من كلمك من قرب كما يقال جليس مجالس، وأكيل مؤاكل. وكذلك كليم الله بمعنى مكالم الله، وخليل الله بمعنى مخال الله. قال الله عز وجل: ﴿خلصوا نجيا﴾ [يوسف: ٨٠] وقال أبو زبيد يذكر رجلاً ساور الأسد:

وثار عليه إعصار وهيجا ... نجياً ليس بينهما جليس

يريد أن كل واحد قرب من الآخر.

(الرد على متأولي العرش)

وطلبوا للعرش معنى غير السرير، والعلماء باللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير وما عرش من السقوف وأشباهها.

وقال أمية بن أبي الصلت[2]:

(١) قال أبو عمرو الطلمنكي: وأجمعوا ـ أهل السنة ـ على أن معنى: (وهو معكم أينما كنتم) ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق سمواته بذاته مستو على عرشه كيف شاء، مجموع الفتاوى ٥/٥١٩.

(٢) أمية بن أبي الصلت تنصر في الجاهلية هو وورقة بن نوفل وكان ينشد الأشعار في تمجيد =

مجدوا الله وهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق النا س وسوّى فوق السماء سريرا
شرجعاً لا ينـاله بصـر العيـ ـن ترى دونه الملائك صورا

وطلبوا للكرسي غير ما نعلم وجاؤوا بشطر بيت لا يعرف ما هو ولا يدري من قائله: (ولا يكرسيء علم الله مخلوق) والكرسي غير مهموز بإجماع الناس جميعاً ويكرسيء مهموز[1].

وقـالـوا في قـول الله عـز وجـل: ﴿خلق الانسـان من عجـل﴾

= الله تعالى.
عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال هل معك من شعر أمية ابن أبي الصلت شيئاً قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتاً فقال هيه ثم أنشدته بيتاً فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت فقال فلقد كاد يسلم في شعره. مسلم ٤/١٧٦١/ ح ٢٢٥٥.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كرسيه موضع قدمه والعرش لا يقدر أحد قدره.
رواه: الحاكم في مستدركه (٢/٢٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. قلت: هو على شرط مسلم دون البخاري فعمار الدهني من رجال مسلم فقط، وابن خزيمة في التوحيد ص ١٠٧/١٠٨، وعبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة ١/٣٠١/ح٥٨٦، والدارمي في الرد على المريسي ٧١/٧٣/٧٤، وابن جرير في التفسير ٣/١٠، والخطيب البغدادي في تاريخه ٩/٢٥٢، كلهم من رواية سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً.
وروي مرفوعاً (عند ابن منده في الرد على الجهمية ٤٥، والخطيب ٩/٢٥١، وابن كثير ١/٣٠٩) من رواية شجاع بن مخلد الفلاس عن أبي عاصم به وقد خالف شجاع الفلاس في رفعه الرمادي والكجي عن أبي عاصم (تاريخ بغداد ٩/٢٥٢، وابن منده في الرد على الجهمية ٤٥، التهذيب ٤/٢٧٥)، قال الحافظ: وكذا رواه ابن مهدي ووكيع عن سفيان موقوفاً (التهذيب ٤/٢٧٥، قلت: رواية وكيع عن سفيان عن الدارمي في الرد على المريسي ٦٧، ٧٣/٧٤ وعند عبد الله بن أحمد ١/٣٠١ /ح٥٨٦، ورواية ابن مهدي عن سفيان: في الخطيب ٩/٢٥٢.
وبهذا يعلم أن رفع شجاع بن مخلد لهذا الحديث غلط منه والصحيح أنه موقوف أنظر ابن كثير ١/٣٠٩ والعلل المتناهية ١/٢٢.
وقال ابن حجر: وذكره (شجاع بن مخلد) العقيلي في الضعفاء وأورد له هذا الحديث =

[الأنبياء: ٣٧] أي من طين وجاؤوا ببيت لا يعرف ولا يدري من قاله:

. . . . والحب ينبت بين الماء والعجل

لما اشتبه عليهم قوله: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ تمحلوا له هذه الحيلة وهذه من المقدم والمؤخر أراد خلق العجل من الإنسان ومثله كثير.

(الرد على نفاة الخلة لله)

ونزهوا الله فيما زعموا عن أن يكون خليلاً لمخلوق لأن الخلة الصداقة فقالوا في قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء: ١٢٥] اتخذه فقيراً إليه وجعلوه من الخَلة بنصب الخاء واحتجوا بقول زهير:

وإن أتـاه خليل يـوم مسألـةٍ يقول لا غائب مالي ولا حرمُ

أي فقير، فقبحاً لهذه العقول وهذا النظر أما سمعوا ويحهم بإجماع

= مرفوعاً (التهذيب ٤/٢٧٤)، قلت: لم أجده في المطبوع من الضعفاء الكبير للعقيلي، وقال ابن كثير (١/٤٥٧ تفسير) ورواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ولا يصح قلت: الحكم بين ظهير متروك، ضعفه أحمد وابن معين وقال أبو زرعة متروك وكذلك النسائي، قال ابن حبان كان يشتم الصحابة (تهذيب ٢/٣٦٨)، وروى ابن جرير في تفسيره ٣/١١ عن ابن عباس قوله: الكرسي علمه والحديث من رواية مطرف عن جعفر بن أبي المغيره عن سعيد عن ابن عباس وجعفر لم يتابع عليه. وجعفر ليس بالقوي في سعيد بن جبير (الرد على الجهمية ٤٥ والتهذيب ٢/٩٣)، وقال الدارمي: وليس جعفر ممن يعتمد على روايته، إذ قد خالفه الرواة الثقات المتقنون (الرد على المريسي ٧١)، وروي من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قوله كرسيه علمه (ابن منده في الرد على الجهمية /٤٦)، ونهشل: مجمع على تركه كذبه الطيالسي وابن راهويه. (التهذيب ١٠/٤٢٧)، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يحل كتب حديثه إلا على سبيل التعجب (المجروحين ٣/٥٣)، وقال البخاري: قال إسحٰق بن إبراهيم: كان نهشل كذاباً (التاريخ الكبير ص ٢/٨/ ١١٥)، والضحاك بن مزاحم: لم يسمع من ابن عباس (التهذيب ٤/٣٩١ وابن منده في الرد على الجهمية ٣٦)، وهٰذا مخالف لما ثبت عن الضحاك حيث يقول: الكرسي الذي يوضع تحت العرش يضع عليه الملوك أقدامهم (ابن جرير ٣/١٠ والعلل المتناهية ١/٢٢).

الناس جميعاً على أن الخُلّة بضم الخاء لإبراهيم وعلى أن موسى كليم الله وإبراهيم خليل الله، وعيسى روح الله، فإن كان معنى خليل الله: الفقير إلى الله، فأي فضيلة لإبراهيم في هذا القول إذ كان الناس جميعاً فقراء إلى الله والعجب لهم كيف لم يقولوا في قول الناس موسى كليم الله: أنه جريح الله من الكلم أو من معنى آخر.

ما منعهم من ذلك إلا أن الله يقول: ﴿ إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فضاق عليهم الاحتيال، وما أشبه هٰذا بقولهم في: ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ [طٰه: ١٢١] أي بَشَمَ من أكل الشجرة، وذهبوا إلى قول العرب: غوى الفصيل: إذا أتخم وهذا غوى يغوى وذلك غوى يغوي بكسر الواو غياً ولو وجدوا في: ﴿ وعصى آدم ﴾ مثل هذا التأويل أيضاً لقالوه.

(الرد على متأولي الإستواء)

وقالوا في قوله: ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾ [طٰه: ٥] أنه استولى وليس يعرف في اللغة استويت على الدار: أي استوليت عليها وإنما استوى في هٰذا المكان: استقر كما قال الله تعالى: ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أي استقررت وقد يقول الرجل لصاحبه إذا رآه مستوفزاً (استو) يريد: استقر.

وأما قوله: ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ [البقرة: ٢٩] فإنه أراد عمد لها وقصد فكل من كان في شيء ثم تركه لفراغ أو غير فراغ وعمد لغيره فقد استوى إليه.

فهٰذا مذهب القوم في تأويل الكتاب بآرائهم وعلى ما أصلوا من قولهم.

(الرد على متأولي صفة الأصابع)

وأما حديث رسول الله ﷺ فإنهم اعترضوه بالنظر فما كان له وجه في

النظر من هٰذه الجهة صدقوا به، وما لم يكن له مخرج رووه واستشفوه وكذبوا ناقليه ولم يلتفتوا إلى صحيح من الحديث ولا سقيم فآمنوا بمثل قول النبي ﷺ: «إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن»(١) لأنه عندهم يحتمل المخرج في اللغة وقالوا الإصبع: النعمة يذهبون إلى قول الراعي:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له   عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا

أي ترى له أثراً حسناً وكقول الطفيل يصف فحل إبل:

كميت كبكر الناب أحيا بنابه   مقاليتها واستحملتهن إصبع

يقول لما ضرب في الإبل هذا الفحل عاشت أولادها وكانت قبل ذلك مقاليت لا يعيش لها ولد.

وقوله: (واستحملتهن إصبع) أي ظهر عليهن أثر حسن المرعى.

والعرب تقول: ما أحسن إصبع فلان على ماله.

ومن تدبر هٰذا التأويل وجده لا يشاكل ما تقدم من قول النبي ﷺ في هٰذا الحديث لأنه قال في دعائه: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقالت له إحدى أزواجه: أوتخاف يا رسول الله على نفسك فقال: «إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله»(٢). فلو كان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله لكان القلب محفوظاً بتينك النعمتين فلأي شيء دعا بالتثبيت ولم

(١) هٰذا الحديث روي عن جمع من الصحابة منهم:
عبدالله بن عمرو بن العاص: أخرجه مسلم رقم ٢٦٥٤، وأحمد ١٦٨/٢، ١٧٣، والدارمي في الرد على المريسي ٦١ ـ ٦٢. أم سلمة: أخرجه الترمذي ١٩٩/٥، وأحمد ٣٠٢/٦، ٣١٥، وابن خزيمة في التوحيد/٨١. النواس بن سمعان: رواه ابن ماجه ٧٢/١ /ح١٩٩، وأحمد ٢٨٢/٤، والحاكم ٢٨٩/٢، /٣٢١، وابن خزيمة في التوحيد/٨٠، وابن منده في الرد على الجهمية/٨٧، والبيهقي في الأسماء والصفات /٤٢٨، والاعتقاد /٨٠. أنس بن مالك: أخرجه الترمذي ٣٠٤/٣. عائشة: أحمد ٩١/٦، ٢٥١، والدارمي في الرد على المريسي/٦١.
(٢) أنظر التخريج السابق.

احتج على المرأة التي قالت له: أتخاف على نفسك، يؤكد قولها وكان ينبغي أن لا يخاف إذ كان القلب محروساً بنعمتين.

وأنكروا الحديث الآخر: «يحمل الأرض على إصبع وكذا على إصبع وكذا على إصبع»[1] لأن الإصبع ههنا لا يجوز أن تكون النعمة.

وقالوا في الضحك هو مثل قول العرب: ضحكت الأرض بالنبات. إذا طلع فيها ضروب الزهر[2]، وضحكت الطلعة: إذا انفتق كافورها عن بياضها، وضحك المزن: إذا لمع فيه البرق.

وليس من هذه شيء إلا وللضحك فيه معنى حدث فإن كان الضحك الذي فروا منه فيه تشبيه بالإنسان فإن في هٰذا تشبيهاً بهذه المعاني.

[الرد على المشبهة]

ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل فقالوا بالتشبيه المحض، وبالأقطار والحدود، وحملوا الألفاظ الجائية في الحديث على ظاهرها، وقالوا بالكيفية فيها، وحملوا من مستشنع الحديث: عرق

(١) عن عبدالله بن مسعود: أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والخلائق على أصبع ثم يقول أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾. قال البخاري قال يحيى بن سعيد وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبدالله فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له. رواه البخاري ٩/ ١٥٠ ـ١٥١، ١٦٤، ١٨١، ومسلم ٤/٢١٤٧ ـ ٢١٤٨، والترمذي ٥/٤٩، وابن خزيمة في التوحيد /٧٦ ـ ٧٨، وابن منده في الرد على الجهمية /٨٤، والبيهقي في الأسماء والصفات /٤٢١، والدارمي في الرد على المريسي ٦٠ ـ ٦١، وروي عن ابن عباس: أخرجه الترمذي ٥/٤٩، وابن منده في الرد على الجهمية /٨٤.

(٢) قال الإمام الدارمي: إن ضحك الزرع نضارته وزهرته وخضرته. فهو أبداً مادام أخضر ضاحكاً لكل أحد للولي وللعدو، لمن يسقيه ولمن يحصده. لا يقصد بضحكه إلى شيء. والله يقصد بضحكه إلى أوليائه عندما يعجبه من أفعالهم، ويصرفه عن عدائه فيما يسخطه من أفعالهم، في رده على المريسي /١٧٥.

الخيل[1] وحديث عرفات[2] وأشباه هٰذا من الموضوع ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفي إنكاره الريبة وكلا الفريقين غالط وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ونهى عن الغلو فيما دون صفاته من أمر ديننا فضلاً عن صفاته ووضع عنا أن نفكر فيه كيف كان وكيف قدر وكيف خلق ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا.

[مجمل اعتقاد السَّلف في الصِّفات]

وعدل القول في هٰذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي وإنه يعجب وينزل إلى السماء الدنيا وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى.

---

(١) ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت ثم خلق نفسه منها.
هٰذا حديث موضوع والمتهم في وضعه محمد بن شجاع الثلجي.
قال ابن عدي: وكان يضع أحاديث في التشبيه ينسبه إلى أصحاب الحديث ليثلبهم به وقال: فلا يجب أن يشتغل به لأنه ليس من أهل الرواية حمله التعصب على أن وضع أحاديث يثلب بها أهل الأثر. الكامل في ضعفاء الرجال ٢٢٩٣/٦، أنظر البيهقي (الأسماء والصفات): ٤٧١ ـ ٤٧٢. وابن الجوزي في الموضوعات ١٠٥/١.
وقد حاول الكوثري أن ينسب وضعه إلى حماد بن سلمة بن دينار (هامش الأسماء والصفات /٤٧١) لأن حماد حديثي أثري وابن شجاع من أهل الرأي واعتمد في دعواه هذه على قصة ملفقة من محمد بن شجاع الثلجي بل إنه ألف كتاباً سماه (الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد ومحمد بن شجاع) مع أن ابن شجاع كان جهمياً داعياً عدواً للحديث وأهله من أتباع المريسي أنظر كلام الإمام المعلمي في التنكيل (٢٣١/١ ـ ٢٤٥). ولم أر أحداً سبق الكوثري بهذه الدعوى وما صنعها إلا لهوى في نفسه.

(٢) فيما روي عن اسماء قالت قال رسول الله ﷺ: رأيت ربي عز وجل على جمل أحمر عليه إزاره وهو يقول قد سمحت، قد غفرت، إلا المظالم فإذا كانت ليلة المزدلفة لم يصعد إلى السماء الدنيا وتنصرف الناس إلى منى.
وهو حديث باطل موضوع إسناده مليء بالمجاهيل والضعفاء (الموضوعات ١٢٥/١).

[الرد على النّواصب والرّوافض]

وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي وتقديمه على ما قدمه رسول الله ﷺ وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي ﷺ في نبوته، وعلم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل والأمور السرية التي جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة، ورأوا شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرأهم منهم، قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأخير علي كرم الله وجهه وبخسه حقه، ولحنوا في القول وإن لم يعرضوا إلى ظلمه، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضي الله عنه، وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن ولم يوجبوا له اسم الخلافة، لاختلاف الناس عليه، وأوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه واتهموا من ذكره بغير خير.

وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله كرم الله وجهه أو أن يظهروا ما يجب له، وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح، وجعلوا إبنه الحسين عليه السلام خارجياً شاقاً لعصا المسلمين حلال الدم لقول النبي ﷺ: «من خرج على أمتي وهم جميع فاقتلوه كائناً من كان»[1] وسووا بينه في الفضل وبين أهل الشورى لأن عمر لو تبين له فضله لقدمه عليهم ولم يجعل الأمر شورى بينهم وأهملوا من ذكره أو روى حديثاً من فضائله، حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية كأنهم لا يريدونهما بذلك وإنما يريدونه فإن قال قائل: أخو رسول الله ﷺ علي وأبو سبطيه الحسن والحسين وأصحاب الكساء علي

---

(١) عن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس فقال: إنه سيكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر أمة محمد ﷺ كائناً من كان فاقتلوه فإن يد الله على الجماعة فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض.

رواه مسلم ٣/١٤٧٩ /ح١٨٥٢ مكرر، وأبو داود ٤/٢٤٢ /ح٤٧٦٢، والنسائي ٧/٩٢ - ٩٣.

وفاطمة والحسن والحسين[1]، تمعرت الوجوه وتنكرت العيون وطرّت حسائك الصدور وإن ذكر ذاكر قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[2].

و (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[3] وأشباه هٰذا التمسوا لتلك

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

رواه مسلم ٤ ١٨٨٣ /ح٢٤٢٤، وأحمد والحاكم ٣/ ١٤٧. وروي عن ابن عباس: الطبراني في الكبير ١٢/ ٩٧/ ١٢٥٩٣، والحاك ٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأم سلمة: الحاكم ٣/ ١٤٦، الترمذي ٥/ ٣٠/ح٣٢٥٨. واثلة ابن الأسقع: الحاكم ٣/ ١٤٧، وأحمد.

(٢) حديث صحيح وأصح رواياته هي رواية الترمذي: قال حدثنا محمد بن بشار أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم ـ شك شعبة ـ عن النبي ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. الترمذي ٥/ ٢٩٧ /ح٣٧٩٧.

قلت: هو على شرط الشيخين، محمد بن بشار هو بندار ومحمد بن جعفر هو غندر ورواه الحاكم عن محمد بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الطفيل عن ابن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم به مطولاً. (٣/ ١٠٩ ـ ١١٠ المستدرك).

قلت: ابن واثلة هو أبو الطفيل أنظر الجرح والتعديل ٦/ ٣٢٨ والمراسيل لابن أبي حاتم/ ١٥٩ والثقات لابن حبان ٣/ ٢٩١ والإصابة ٢/ ٢٦١، ورواه عن زيد بن أرقم: الطبراني في الكبير ٥/ ١٦٦ /ح٤٩٦٩ ـ ح٤٩٧٠ ـ ح٤٩٧١، وأحمد ٤/ ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٦٨، وروي عن سعد بن أبي وقاص: أخرجه ابن ماجه ١/ ٤٥/ح١٢١، والحاكم ٣/ ١١٦. وعن ابن عباس: أخرجه أحمد ١/ ٣٣١، والحاكم ٣/ ١٣٤، والطبراني: ١٢/ ٩٩ /ح٢١٥٩٣. وعن علي: أخرجه أحمد ١/ ٨٤، ١١٨، ١٥٢، والحاكم ٣/ ٣٧١، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ٢٧١. وعن بريدة: أخرجه الحاكم ٣/ ١١٠، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٣.

(٣) روي عن عدّة من الصحابة منهم:

سعد بن أبي وقاص: أخرجه البخاري ٥/ ٢٤، والترمذي ٥/ ٣٠١ /ح٣٨٠٨، وابن ماجه ١/ ٤٢ /ح١١٥، ١/ ٤٥ /ح١٢١، والطبراني في الصغير ٢/ ٢٢، =

الأحاديث المخارج لينتقصوه ويبخسوه حقه بغضاً منهم للرافضة وإلزاماً لعلي عليه السـلام بسببهم ما لا يلزمه وهٰذا هو الجهل بعينه.

والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته ولا تهلك ببغضه، وأن لا تحتمل ضغناً عليه بجناية غيره فإن فعلت فأنت جاهل مفرط في بغضه، وأن تعرف له مكانه من رسول الله ﷺ بالتربية والأخوة والصهر، والصبر في مجاهدة أعدائه وبذل مهجته في الحروب بين يديه مع مكانه في العلم والدين والبأس والفضل من غير أن تتجاوز به الموضع الذي وصفه به خيار السلف لما تسمعه من كثير من فضائله فهم كانوا أعلم به وبغيره، ولأن ما أجمعوا عليه هو العيان الذي لا يشك فيه.

والأحاديث المنقولة قد يدخلها تحـريف وشوب ولـو كان إكـرامك لرسول الله ﷺ هو الذي دعاك إلى محبة من نازع علياً وحاربه ولعنه إذ صحب رسول الله ﷺ وخدمه وكنت قد سلكت في ذلك سبيل المستسلم لأنت بذلك في علي عليه السلام أولى لسابقته وفضله وخاصيته وقرابته والدناوة التي جعلها الله بينه وبين رسول الله ﷺ عند المباهلة حين قال تعالى: ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ فدعا حسناً وحسنياً ﴿ ونساءنا ونساءكم ﴾ فدعا فاطمة عليهـا السلام ﴿ وأنفسنـا وأنفسكم ﴾ [آل عمران: ٦١] فـدعا عليـاً عليه السلام[1] ومن أراد تبصيره بَصَّره ومن أراد غير ذلك حَيَّره.

= وأحمد ١/ ١٧٠، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥. أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد ٣/ ٣٢. حبش بن جنادة: أخرجه الطبراني في الكبير ٤/ ١٧ /ح٣٥١٥، والصغير ٢/ ٥٤. جابر بن سمرة: أخرجه الطبراني في الكبير ٢/ ٢٤٧ /ح٢٠٣٥. أبو أيوب الأنصاري: أخرجه الطبراني في الكبير ٤/ ١٨٤ /ح٤٠٨٧. ابن عباس: أخرجه أحمد ١/ ٣٣١، والطبراني في الكبير ١٢/ ٩٧ /ح١٢٥٩٣، والحاكم ٣/ ١٣٣.

(١) حديث دعوة علي والحسن والحسين وفاطمة لمباهلة وفد نجران حديث صحيح رواه الإمـام مسلم ٤/ ١٨٧٠ /ح٢٤٠٤ والحـاكم ٢/ ٥٩٤، وأخـرجـه أبـو نعيم في الدلائل ح/ ٢٤٤، وابن مردويه كما قال ابن كثير ٢/ ٥٢، وكما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٣٠، والترمذي ٥/ ٣٠١/ ح ٣٨٠٨.

[ذكر مسألة اللفظ]

ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتنا من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن وتشانئهم وإكفار بعضهم بعضاً وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشة لأنهم مجمعون على أصل واحد وهو (القرآن كلام الله غير مخلوق) في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه، ولم يكن معهم آلة التمييز، ولا فحص النظارين، ولا علم أهل اللغة، فإذا فكر أحدهم في القراءة وجدها قد تكون قرآناً لأن السامع يسمع القراءة، وسامع القراءة سامع القرآن. وقال الله عز وجل: ﴿ فاستمعوا له ﴾ وقال: ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ ووجدوا العرب تسمي القراءة قرآناً. قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطِّع الليل تسبيحاً وقراناً

أي تسبيحاً وقراءة.

وقال أبو عبيد: يقال قرأت قراءة وقرآناً بمعنى واحد، فجعلهما مصدرين لقرأت.

وقال الله تعالى: ﴿ وقران الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي قراءة الفجر.

فيعتقد من هذه الجهات أن القراءة هي القرآن غير مخلوق، ويفكر آخر في القراءة فيجدها عملاً لأن الثواب يقع على عمل لا على أن قرآناً في الأرض.

ويجد الناس يقولون قرأت اليوم كذا وكذا سورة، وقرأت في تقدير فعلت كما تقول ضربت، وأكلت، وشربت، وتجدهم يقولون: قراءة فلان أحسن من قراءة فلان. إنما يزيدون أداء فلان للقرآن أحسن من أداء فلان، وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان، وإنما يراد في جميع هذا: العمل. لأنه لا يكون قرآن أحسن من قرآن فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل وأنها غير

القرآن، وأن من قال (القراءة غير مخلوقة) فقد قال أن أعمال العباد غير مخلوقة.

فلما وقعت هذه الحيرة، ونزلت هذه البلية فزع الناس إلى علمائهم، وذوي رأيهم فاختلفوا عليهم.

فقال فريق منهم: القراءة فعل محض وهي مخلوقة كسائر أفعال العباد والقرآن غيرها. وشبهوها والقرآن بالضرب والمضروب والأكل والمأكول فاتبعهم في ذلك فريق.

وقالت فرقة: هي القرآن بعينه، ومن قال أن القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن واتبعهم قوم.

وقالت فرقة: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها ولا تعاطوها.

واختلفت عن أبي عبدالله أحمد بن حنبل الروايات[1]، ورأينا كل فريق

---

(١) الروايات عن الإمام أحمد غير متضاربة بل هي تؤول إلى معنى واحد فقط هو أن أفعال العباد مخلوقة وأن كلام الله تعالى ليس بمخلوق فترى الإمام أحمد ينكر على من قال لفظي بالقرآن مخلوق وينكر كذلك عن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق وليس في هذا التضارب بل هما التفصيل الحق (وانظر الروايات عنه في الأسماء والصفات ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

قال ابن تيمية: وكان السلف قد أظهروا ذلك لما أظهرت القدرية أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، وزعموا أن العبد يحدثها أو يخلقها دون الله. فبين السلف والأئمة أن الله خالق كل شيء أفعال العباد وغيرها، ثم لما أظهر طائفة من المنتسبين إلى السنة أن ألفاظ العباد بالقرآن غير مخلوقة أنكر الإمام أحمد ذلك وبدع من قاله.

وأنكر الأئمة من أصحاب أحمد وغيرهم من علماء السنة من قال: إن أصوات العباد وأفعالهم غير مخلوقة. وصنف البخاري في ذلك مصنفاً، كما أنهم بدعوا وجهموا من قال: إن الله لا يتكلم بصوت، أو أن حروف القرآن مخلوقة. أو قالوا إن اللفظ بالقرآن مخلوق. فرد الأئمة هذه البدعة. (مجموع الفتاوى ٨/٤٠٦ ـ ٤٠٧).

وقال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل في كتاب المحنة: تناهى إليَّ أن أبا طالب =

منهم يدعيه ويحكي عنه قولاً، فإذا كثر الاختلاف في شيء ووقع التهاتر في الشهادات به أرجأناه مثل أن ألغيناه.

ومن عجيب ما حكي عنه مما لا يشك أنه كذب عليه إذ كان موفقاً بحمد الله رشيداً أنه قال (ومن زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي، والجهمي كافر، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلالة)[1] فكيف

= حكى عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق. فأخبرت أبي بذلك فقال من أخبرك فقلت فلان فقال: ابعث إلى أبي طالب. فوجهت إليه. فجاء وجاء فوران فقال له أبي: أنا قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب، وجعل يرتعد. فقال له: قرأت عليك: قل هو الله أحد فقلت لي: هذا ليس بمخلوق.

قال له: فلم حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وصفت ذلك في كتابك. وكتبت به إلى قوم. فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم: أني لم أقل هذا وغضب وأقبل عليه فقال: تحكي عني ما لم أقل لك. وجعل فوران يعتذر له.

وانصرف من عنده وهو مرعوب فقال أبو طالب فذكر أنه حك ذلك من كتابه وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي عبدالله في الحكاية. مجموع الفتاوى ١٢/٤٢٤، (وانظر الحادثة في الأسماء والصفات للبيهقي ٣٣٨).

قال الإمام البخاري: وسمعت عبدالله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور في المكتوب، الموعي في القلوب فهو كلام الله تعالى ليس بخلق (الأسماء والصفات ٣٣٢).

(١) إنكار هذه الرواية عن الإمام أحمد لعدم صواب معناها عند ابن قتيبة غير مستقيم فالإمام أحمد رحمه الله أراد نفي النفي المطلق والإثبات المطلق فكلاهما يحتملان معنى خاطئاً وهو الذي سينصره ابن قتيبة بعد قليل وهذه الرواية من الإمام أحمد أثبتها المحققون من أتباعه.

قال ابن جرير الطبري: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشفاء والعفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى: أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل فإن أبا موسى الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: =

يتوهم على أبي عبدالله مثل هٰذا القول، وأنت تعلم أن الحق لا يخلو من أن يكون في أحد الأمرين، وإذ لم يخل من ذلك صار الحق في كفر أو ضلال.

ولم أر في هذه الفرق أقل عذراً ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هٰذه الفتنة، وإنما يجوز أن يؤمر بهٰذا قبل تفاقم الأمر ووقوع الشحناء وليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار وظهر هذا الظهور ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب، وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدم من العلماء حين تكلم جهم وأبو حنيفة[1] في القرآن ولم يكن دار بين الناس قبل ذلك ولا عرف ولا

= اللفظية جهمية. يقول الله: حتى يسمع كلام الله. ممن يسمع؟

قال ابن جرير: وسمعت جماعة من أصحابنا، لا أحفظ أسماءهم، يحكون عنه أنه كان يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع.

قال ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله، إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع. مجموع الفتاوى ١٢/٤٢٣.

قال ابن تيمية: وكان أحمد وغيره من السلف ينكرون على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق. يقولون من قال هو مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع فإن اللفظ يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً ويراد باللفظ الملفوظ، وهو نفس الحروف المنطوقة، الفتاوى ١٢/٤٢٤، قلت والسلف على الجملة كانوا على التفصيل (أنظر الأسماء والصفات ٣٤٠).

قال ابن القيم: وكان يقول (أي أحمد) من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع (مختصر الصواعق ٢/٣١٣).

(١) أدراج أبا حنيفة مع جهم فيه شيء من المجازفة فبالرغم من وجود الروايات الصحيحة عن بعض الأئمة أن أبا حنيفة استتب من الكفر إلا أن هذه الإستتابة قد فسرت بأن أبا حنيفة تكلم بكلام فقال أصحابه هٰذا كفر فقال أتوب، (أنظر السنة لعبدالله بن أحمد فقرة ٣٥٦)، فهٰذا لا يقدح شيئاً في أبي حنيفة.

وقد صح عن الإمام أحمد أنه قال: لم يصح عندنا أن أبا حنيفة كان يقول القرآن مخلوق، (تاريخ بغداد ١٣/٣٨٤).

وروى البيهقي في الأسماء والصفات (٣٢١) أن محمد بن سابق قال سألت أبا يوسف =

كان مما تكلم الناس فيه فلما فزع الناس إلى علمائهم لم يقولوا هٰذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها، ولكنهم أزالوا الشك باليقين وجلوا الحيرة وكشفوا الغمة وأجمع رأيهم على أنه غير مخلوق فأفتوهم بذلك وأدلوا بالحجج والبراهين، وناظروا وقاسوا واستنبطوا الشواهد من كتاب الله عز وجل كقوله: ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله: ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾ [طٰه: ١٤].

وأما قولهم: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها فلا تتكلفوها فإنما يفزع الناس إلى العالم في البدعة لا فيما جرت به السنة وتكلم فيه الأوائل ولو كان هٰذا مما تكلم فيه لاستغني عنهم.

الكلام لا يعارض بالسكوت، والشك لا يداوى بالوقوف، والبدعة لا تدفع بالسنة وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه.

وإن كان الوقوف في اللفظ بالقرآن حتى لا يقال فيه مخلوق أو غير مخلوق هو الصواب فما حجتنا على الواقفة[1] في القرآن ولم جعلناهم شكاكاً وجعلناهم ضلالاً، وأكفرهم بعض أهل السنة، وأكفر من شك في كفرهم، هل الأمر في ذلك وفي هذا إلا واحد.

فإن قيل إن الثوري وابن عيينة وابن المبارك وأشباههم لم يقفوا.

= فقلت: أكان أبو حنيفة يقول القرآن مخلوق؟ قال معاذ الله ولا أنا أقوله. فقلت أكان يرى رأي جهـم؟ فقال معاذ الله ولا أنا أقوله. قال البيهقي: رواته ثقات.

وقال أبو يوسف: كلمت أبا حنيفة رحمه الله تعالى سنة جرداء في أن القرآن مخلوق أم لا؟ فاتفق رأيـي ورأيه على أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

قال البيهقي: قال أبو عبدالله رواة هذا كلهم ثقات، الأسماء والصفات /٣٢٢.

(١) الواقفة هم الذين أبوا أن يقولوا أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق فتوقفوا في ذلك فعدهم أهل العلم من أهل البدع وخرجوا أن قولهم هو قول الشكاك قال محمد بن يحيـى: ومن وقف وقال لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق فهو ضاهى الكفر. (مختصر الصواعق ٢ /٣٠٨).

قلنا: لكل زمان رجال، فأنت ثوري زماننا وابن عيينتنا فقل كما قالوا ونحن راضون منك أن تقول ومعقول أن نقول لك من أين قلت.

وكل من ادّعى شيئاً أو انتحل نحلة فهو يزعم أن الحق فيما ادّعى وفيما انتحل خلا الواقف الشاك فإنه يقر على نفسه بالخطأ، لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين اللذين وقف بينهما، وأنه ليس على واحد منهما، وقد بلي بالفريقين المستبصر المسترشد وبإعناتهم ومحنتهم وإغلاظهم لمن خالفهم وإكفاره وإكفار من شك في كفره، فإنه ربما ورد الشيخ المصر فقعد للحديث وهو من الأدب غفل، ومن التمييز ليس له من معاني العلم إلا تقادم سنه، وأنه قد سمع ابن عيينة وأبا معاوية ويزيد بن هارون، وأشباههم فيبدأونه قبل الكتاب بالمحنة، فالويل له إن تلعثم أو تمكث أو سعل أو تنحنح قبل أن يعطيهم ما يريدون فيحمله الخوف في قدحهم فيه، وإسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا فيتكلم بغير علم ويقول بغير فهم فيتباعد من الله في المجلس الذي أمل أن يتقرب منه فيه. وإن كان ممن يعقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار ما يحبون ليكتبوا عنه.

وإن رأوا حدثاً مسترشداً أو كهلاً متعلماً سألوه فإن قال لهم: أنا أطلب حقيقة هٰذا الأمر، وأسأل عنه ولم يصح لي شيء بعد، وإنما صدقهم عن نفسه، واعتذر بعذره، الله يعلم صدقه، وهم يعلمون أنه لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ويبحث ليعلم، كذبوه وآذوه وقالوا: خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه.

أفترى لو كان ما هم عليه من اعتقادهم هذا الأمر، أصل التوحيد الذي لا يجوز للناس أن يجهلوه وقد سمعوه من رسول الله ﷺ مشافهة كان يجب أن يبلغ فيه هذه الغاية فكيف وهم لو سئلوا من أين قلتم ما رجعوا في ذلك إلى وثيقة من حديث يأثرونه أو قول إمام من العلماء يحسن تقليد مثله أو قياس يطردونه وإنما هو رأي رأوه وقد يخطىء الرأي، وظن ظنوه وأجهل الناس من جعل ظنه لله ديناً.

[فصل مسألة اللفظ]

وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن: أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين:

أحدهما: عمل - والآخر: قرآن.

إلا أن العمل لا يتميز من القرآن كما يتميز الأكل من المأكول فيكون المأكول الممضوع والمبلوع، ويكون الأكل المضغ والبلع.

والقرآن لا يقوم بنفسه وحده كما يقوم المأكول بنفسه وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع[1]: كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع، فهو بالعمل في الكتابة قائم، والعمل خط وهو مخلوق، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالعمل في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق.

وهو بالاستماع قائم في السمع، والاستماع عمل وهو غير مخلوق، والمسموع قرآن غير مخلوق.

ومثل هٰذا وإن كان لا مثل للقرآن إلا أنه تقريب منا لما ذكرناه إلى فهمك مثل لون الإنسان لا يقوم إلا بجسمه ولا نقدر أن نقر اللون في وهمك حتى يكون متميزاً من الجسم، وكذلك القدرة لا نقدر أن نفردها عن الجسم، وكذلك الاستطاعة والحركة كل واحدة منهما لا تفرد، وإنما تقوم بالجسم والجارحة ولا تنفرد عنهما، كذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التي ذكرناها ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفرداً عنها، فإذا قلت قرأت أو تلوت أو

(١) قال إبراهيم الحربي: كنت جالساً عند الإمام أحمد بن حنبل إذ جاءه رجل فقال يا أبا عبدالله إن عندنا قوماً يقولون إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة. قال أبو عبدالله: يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق، والمحفوظ غير مخلوق والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق. (مختصر الصواعق ٢/٣١٤).

لفظت دل قولك على فعل، وقرآن كل واحد منهما قائم بالآخر غير متميز منه لأن الصوت وتحريك اللسان لا يكون قراءة حتى يحمله الصوت واللسان وليس سائر الأفعال والمفعولات هكذا ألا ترى أنك تقول شتمت وسببت وقذفت فيدل قولك على فعل ومشتوم ومسبوب ومقذوف إلا أن كل واحد قائم بنفسه متميز من الآخر فلهٰذا قلنا: إن القراءة شيئان، وكذلك التلاوة واللفظ وقلنا الشتم شيء واحد.

فإن قال فما شبه هٰذا؟

قلنا رجلان نظرا إلى جمرة حمراء فقال أحدهما: هي جسم وقال الآخر: هي نار.

وتجادلا في ذلك وشرق الأمر بينهما حتى حلف كل واحد بالطلاق على ما قال ثم صارا إلى الفقيه. فقالا: إنا اختلفنا في جمرة فقال أحدنا: هي جسم وقال الآخر: هي نار وتمادينا في ذلك حتى حلف كل واحد منا بالطلاق على ما ادّعى فقال الفقيه لكل واحد منهما: صدقت. ولكن ذكرت شيئاً ذا معنيين بأحد معنييه. فالجمرة مثل القراءة لأنهما اسم واحد يجمع معنيين: الجسم والنار كما أن القراءة تجمع معنيين العمل والقرآن ولو كان أحد المختلفين قال: هي جسم ونار قد جمع لها الصنفين كما أن من قال القراءة عمل وقرآن قد جمع لها الصنفين وكذلك لو اختلف اثنان في نجم فقال أحدهما: هو نار وقال الآخر: هو نور كانا جميعاً صادقين، لأن النجم اسم ذو معنيين: نار ونور.

وكذلك لو اختلف اثنان في أكل إنسان فقال أحدهما: هو مضغ، وقال الآخر هو بلع كانا جميعاً صادقين. لأن أكل الإنسان اسم ذو معنيين مضغ وبلع وكذلك لو اختلفا في القتل فقال أحدهما: هو جرح. وقال الآخر: هو موت. لأن القتل اسم ذو معنيين عمل وموت.

وقد بقيت بعدما بينت لطيفة قد يغلط في مثلها وهي أن السامع إذا

سمع قائلاً يقول: قراءتي للقرآن ولفظي بالقرآن، قراءة القرآن مفردة عن القرآن واللفظ منفرد عن القرآن، توهم أن كل واحد منهما غير ممازج للقرآن وليس كذلك وإنما قوله للقرآن بالقرآن تمييز للقرآن من غيره لأن القارىء قد يقرأ غير القرآن وهذا من أغمض ما مر وأدقه فتأمله وتدبره حتى تفهمه وسأزيده إيضاحاً:

كأن رجلاً يسمى محمداً قرأ فسمعه رجل فقال عبدالله: ماذا قرأ.

فيقول زيد: القرآن.

وكذلك لو قال: ما أحسن لفظ محمد.

فقال عبدالله: وبماذا لفظ؟

فيقول له زيد: بالقرآن.

فالقرآن ههنا إنما هو تمييز وتبيين وكل واحد من القرآن واللفظ يجمع معنيين عملاً وقرآناً.

[هل الإيمان مخلوق أم لا؟]

وذهب قوم من منتحلي السنة: إلى أن الإيمان غير مخلوق[1] خوفاً من أن يلزمهم أن يقولوا ﴿ لا إله إلا الله ﴾ مخلوق. إذ كانت رأس الإيمان فركبوها شنعاً وجعلوا أفاعيل العباد غير مخلوقة صفات لله عز وجل.

فيا سبحان الله ما أعجب هٰذا وأعجب قائليه ولقد آلف الناس (غير مخلوق) وأنسوا به حتى أنه ليخيل إليَّ أن رجلاً لو ادّعى أن العرش غير مخلوق وأن الكرسي غير مخلوق لوجد على ذلك أشياعاً ينتحلون السنة فماذا جَـرَّ جهم لا رحمه الله على متبعيه بنحلته وعلى مخالفيه ببغضته.

وقد بلغني أن قوماً يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوقه، وأنهم يستدلـون على ذلـك بقـول الله في آدم: ﴿ ونفخت فيـه من روحي ﴾

(١) سيأتي تفصيله.

[الحجر: ٢٩][1] وهذا هو النصرانية والقول باللاهوت والناسوت قال النابغة الجعدي:

من نطفة قدَّرها مُقَدِّرُها   يخلق منها الإنسان والنسما

والنسم: الأرواح.

وأجمع الناس على أن الله خالق الجن وبارىء والنسمة: أي خالق الروح. والإيمان مخلوق[2] لأنه لفظ باللسان وعقد بالقلب واستعمال للجوارح وكل هٰذه أفعال للعباد ثم كل هذه غرائز ركبها الله في العباد وسماها الرسول ﷺ إيماناً.

قال أبو محمد: وقد كان بعض الجهمية سألني مرّة عن تكلم الناس في

---

(١) قال ابن تيمية: وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، وكلمة الله من ذات الله. كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب. وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة وأما قول الله: وروح منه. يقول: من أمره كان الروح فيه. كقوله: ﴿ وسخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ يقول من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال: عبدالله وسماء الله. (مجموع الفتاوى ٨/٤١٨).

(٢) كان الأولى بابن قتيبة أن يفصل المسألة كما فصل مسألة اللفظ إذ كل منهما ملحق بالأخرى وما ظهرت مسألة الإيمان إلا بعد ظهور مسألة اللفظ وأقوم الآراء فيها ما كان تابعاً لمسألة اللفظ وهو التفصيل إذ الإيمان لفظ مشترك فيه صفات الله وكلامه وفيه فعل العبد وصفات الله تعالى وكلامه غير مخلوقة وفعل العبد مخلوق.

قال ابن تيمية: وإذا قال الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد بالإيمان؟ أتريد به شيئاً من صفات الله وكلامه، كقوله: ﴿ لا إله إلا الله ﴾ و(إيمانه) الذي دل عليه اسم المؤمن فهو غير مخلوق، أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون العبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور من يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء وأمثالها مما كثر تنازع الناس بالنفي والإثبات، إذا فصل فيها الخطاب ظهر الخطأ من الصواب، مجموع الفتاوى ٧/٦٦٤.

الحرف والحرفين، ولذلك أصل في الكتاب، أمخلوق هو أم غير مخلوق؟

فقلت: هو غير مخلوق ما لم يقصد به إلى تلاوة القرآن.

فقال لي: فإذن القرآن يصير كلاماً بنيتك والكلام يصير قرآنا بنيتك.

قلت له: إن القول القليل قد يتغير بالنية والقصد وأنا أقر لك بذلك.

ثم قلت له: أما تعلم أن ﴿لا إله إلا الله﴾ رأس الإيمان وكلمة التوحيد.

قال: بلى.

قلت: فما تقول في ملحد قال: (لا إله). يريد النفي ماذا تكون كلمته؟

فقال: كفراً.

قلت: فإذن شطر كلمـة التوحيد قد صار كفراً بالنية.

ثم قلت له: ما تقول في مؤمن أراد أن يقول: ﴿لا إله إلا الله﴾ فقال: (لا إله) ثم انقطع نفسه وسها. ما كان قوله؟.

قال: إيماناً بحاله.

قلت له: فإذن ما كان هناك كفراً بالنية قد صار ههنا إيماناً بالنية.

وقلت له: ما تقول أنت في القرآن؟

قال: مخلوق.

قلت: وفي أفعال العباد؟

قال: غير مخلوقة.

قلت: ما تقول في قول الله: ﴿ويخزهم وينصـركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة: ١٤] ما هو؟

قال: آية.

قلت: فهي عندك أمخلوقة أم غير مخلوقة؟

قال: مخلوقة.

قلت: فإن دعبل بن علي الشاعر جعلها بيتاً في شعر له طويل فقال:

ويخـــزهم وينصـركم عليهم ويشف صـدور قوم مؤمنينـا

فما هي في شعر دعبل؟

قال: قول لدعبل.

قلت: مخلوق أم غير مخلوق؟

قال: بل غير مخلوق(١).

قلت: فأراه صـار فعلاً بالنية وخلقاً بالنية فما الذي أنكرته من قولنا هٰذا؟

هٰذا منتهىٰ الاختلاف في اللفظ بالقرآن وهو بلاغ لمن خضع للحق وتلقاه بقلب سليم ومن استكبر وجمحت به الحمية فيستغني الله الحق عنه والله غني حميد.

---

(١) هو قال غير مخلوق لأنه يرى أن العبد يخلق أفعاله وأن الله عز وجل لا يخلقها. وقد تقدم أن العبد لا يخلق فعله وأنَّ الله خالق كل شيء وليس للعبد إلا الفعل حقيقة.

فهرس الآثار والأحاديث

التـاء

الخاء

الـراء

الضـاد

الفـاء

القـاف

الكـاف

الـلام

الميـم

اليـاء

فهرس الموضوعات